سيدنى بواتييه:
أنا أول زنجى يُقبِّل بيضاء فى السينما الأمريكية!

فى البهو الرئيسى لمتحف جوجنهايم الشهير بنيويورك والذى تلتف حوله قاعة المتحف الممتدة على شكل ممر حلزونى صاعد من الدور الأرضى حيث يوجد البهو إلى الدور الأخير، وجدت نفسى وحدى مع أحد أشهر نجوم هوليوود وهو النجم الأسمر الحائز على جائزة الأوسكار سيدنى بواتييه، بطل أفلام (فى لهيب الليل) و(حذر من القادم على العشاء؟) و(أصحاب التحدى) وغيرها.

كانت مؤسسة جوجنهايم قد اختارت أن يكون نجيب محفوظ الكاتب المصرى الفائز بجائزة نوبل هو شخصية العام، ووسط حضور كبير ضم رجال الثقافة والفن وبعض رجال السياسة كان على أن ألقى كلمة أديبنا الأكبر والتى كانت هى أهم فقرة فى تلك الأمسية السنوية الخاصة التى لا يكون حضورها إلا بالملابس الرسمية وبدعوة خاصة من مؤسسة جوجنهايم. حين وصلت فى ذلك المساء إلى متحف جوجنهايم بالشارع الخامس بقلب نيويورك لم يكن أحد من الضيوف قد حضر بعد، كنت على موعد مع الصديق الدكتور نبيل العربى مندوب مصر فى الأمم المتحدة آنذاك وزوجته نادية، لكنى وصلت قبل الموعد، واقتادتنى إحدى الفتيات المكلفات باستقبال الضيوف والتى كانت ترتدى فستان سهرة مهيباً، إلى البهو الذى تلتف حوله قاعة العرض بالمتحف والممتدة على شكل ممر حلزونى صاعد من الدور الأرضى حيث القاعة إلى الدور الأخير.

كان البهو ممتلئا عن آخره بالموائد المستديرة التى كان سيجلس حولها الضيوف وقد زينها الورد كما فى الأفراح، وأشارت إلىّ الفتاة أن أجلس على أحد المقاعد إلى جوار مقعد آخر كان يجلس عليه شخص أسمر الوجه، وبدا لى المشهد سيرياليا بعض الشىء، فها هو ذا البهو الفسيح ملئ بالموائد التى لا يجلس عليها أحد وكأنها كراسى مسرحية يوجين يونسكو الشهيرة، ثم على واحدة فقط من الموائد يجلس شخصان جنبا إلى جنب، لذلك فما أن جلست واطمأنيت إلى ابتعاد فتاة الاستقبال ذات الفستان المهيب حتى نهضت من مقعدى، فإذا بالرجل الأسمر يسألنى: إلى أين أنت ذاهب؟ قلت وأنا أنظر إلى وجهه لأول مرة: سألقى

نظرة على لوحات المتحف إلى أن يحضر الضيوف، عندئذ أدركت أن رفيقى الوحيد فى هذا البهو الفسيح هو النجم السينمائى الشهير سيدنى بواتييه الذى نهض هو الآخر قائلا: سآتى معك. وفى طريقنا داخل الممر الحلزونى لمتحف جوجنهايم، تبادلنا التعارف وقال لى سيدنى بواتييه إن سبب حضوره هذا الحفل هو أنه سيلقى كلمة الافتتاح باعتباره ضيف الشرف هذا العام، وقلت له بدورى إننى سألقى كلمة نجيب محفوظ المكرم هذا العام، فقال: لابد أنك تشعر بشرف هذه المهمة قلت له: بالطبع لكنى أشعر أيضا مثل الممثل الذى جيئ به ليقوم بدور بطل المسرحية الغائب، فضحك وقال: لقد حدث لى ذلك فى بداية حياتى وكانت النتيجة أن استغنوا بعد ذلك عن الممثل الغائب وأسندوا إلىّ دوره.

ووسط لوحات معرض جوجنهايم التى تحمل توقيعات بيكاسو وجياكوميتى وكاندنسكى وغيرهم، روى لى سيدنى بواتييه أنه ولد على مركب وسط البحر أثناء سفر والديه من جزر البهاما إلى مدينة ميامى بولاية فلوريدا، وقد ولد قبل موعده وتصورت أمه أنه لن يعيش طويلا، أما عن حياته الفنية فقد بدأها فى المسرح فى نيويورك وليس فى السينما، وكان عليه أن يتخلص من لكنة أهل البهاما قبل أن يتمكن من الحصول على أى دور رئيسى فى برودواى.

ويعتبر سيدنى بواتييه أول ممثل أسمر يحصل على جائزة أوسكار فى تاريخ السينما الأمريكية وكان ذلك عن دوره فى فيلم (زهور الحقل) عام ١٩٦٣م، وحين قلت له هذا، قال ضاحكا: الأهم من ذلك أننى كنت أول زنجى يقبّل بيضاء على الشاشة الفضية، وأيضا أول زنجى يصفع رجلاً أبيض!

قلت له: هناك الآن الكثير من السمر الذين يقبّلون ويصفعون، لكن الناس ستظل تتذكر أدوارك التى لا تنسى فى أفلام (مكان تحت الشمس) و(إلى الأستاذ مع حبى).

وهو الفيلم الذى عرض فى القاهرة فى نهاية الستينيات واقتبست منه فكرة مسرحية (مدرسة المشاغبين) وغيرها، فهل تشعر أن بعض هذه الأدوار أقرب إليك من غيرها؟

قال: قد تعجب إذا قلت لك إن أحد الأدوار التى مازلت أعتز بها هو دورى القديم فى فيلم (لا طريق للخروج) والذى قدمت فيه شخصية طبيب زنجى يعالج رجلاً أبيض متعصباً، وهو الدور الذى لفت إلىّ الأنظار عام ١٩٥٠م.

وقد لا يعرف البعض أن سيدنى بواتييه يحمل لقب (سير) من ملكة بريطانيا منذ عام ١٩٧٤م باعتباره مواطنا من البهاما التى تنتمى إلى الكومنولث، وقد داعبته قائلا: هل كان هذا هو المقصود من فيلم To Sir With Love وهو الاسم الأصلى لفيلم (إلى الأستاذ مع حبى) حيث تطلق كلمة (سير) فى الإنجليزية على أستاذ الفصل فى المدرسة، فضحك وقال: بالطبع لا، فحين مثلت هذا الفيلم لم أكن قد حصلت على لقب (سير) بعد، ثم قال: على أية حال أنا أفضّل أن يظل اسمى سيدنى بواتييه فقط وبلا ألقاب.

قلت: هل سيدنى بواتييه هو اسمك الحقيقى أو أنه اسم فنى؟

قال: لا هو الاسم الذى ولدت به، لذلك أعتز به ولا أهوى إضافة الألقاب له، برغم أن وزارة الخارجية فى جزر البهاما حين تكاتبنى تكتب إلىّ باسم (صاحب السعادة السير سيدنى بواتييه)، وذلك لأنى عينت كسفير غير مقيم للبهاما فى اليابان منذ عام ١٩٩٧م.

ثم روى لى أنه حين قدم أوراق اعتماده للامبراطور فى اليابان تذكر قصة روتها له والدته قبل رحيلها وهى أنها حين رزقت به استطلعت رأى إحدى المنجمات التى قالت لها إن طفلك سيمشى وسط الملوك، وقد تصورت والدته أن ذلك يعنى أنه سيموت وأنه سيلتقى بالملائكة فى العالم الآخر!

وسألت سيدنى بواتييه إن كان قد زار مصر فقال لى إنه لم يرها قط وإنه يتطلع إلى القيام بمثل هذه الزيارة، لكنه كان كلما ينوى ذلك فإن ارتباطاته الفنية كان تحول دون قيامه بالرحلة.

ثم قال: أنا الآن أمثل أقل من ذى قبل وقد أصبحت الآن متحكماً أكثر فى وقتى، أما ارتباطاتى الأخرى مثل هذه الكلمة التى سألقيها اليوم فأستطيع قبولها فقط فى وقت فراغى، لذلك فأنا أفكر جديا فى زيارة مصر الآن.

قلت: عندنا قد لا تجد من يقبّلون البيض أو حتى السمر فى الشوارع، لكنك ستجد كثيرين يصفعون البيض والسمر معا.

فضحك وقال: إذن فلن أشعر بالغربة.

❑❑❑

فاليرى جيسكار ديستان:
زيارتى لليابان جعلتنى أديبا!

بعد مغادرته لمقعد الرئاسة الفرنسية بقصر الإليزيه ببضع سنوات أصدر فاليرى جيسكار ديستان كتابا بعنوان (المر) Le Passage وقد أدهشنى أن وجدت هذا الكتاب عبارة عن رواية أدبية وليس كتابا سياسيا، وحين قابلت جيسكار ديستان بعد ذلك فى باريس كان محور حديثى معه هو تلك الرواية التى أظهرت جانبا من شخصية الرئيس السابق لم نكن نعرفها.

جيسكار ديستان

لعلها خاصية فرنسية خالصة تجعل رجال السياسة يسعون دائما إلى الكتابة الأدبية، فلا الرؤساء الأمريكيون ولا رؤساء الوزارات البريطانيون عرف عنهم هذا الولع بكتابة الأدب، فهم إن كتبوا عادة ما تكون كتاباتهم فى المجال السياسى مثلما كان الحال مع ونستون تشرشل أو جلاد ستون فى بريطانيا أو كارتر وكلنتون فى الولايات المتحدة.

أما فى فرنسا فأذكر أننى فى زيارة أخيرة كانت معظم الكتب التى اشتريتها لرجال السياسة وكان بعضها قد حقق مبيعات كبيرة فى ذلك الوقت مثل كتاب (الحياة بعاطفة) La Vie Passionement الذى كتبه عمدة باريس برتران ديلانويه متضمنا مذكراته الشخصية التى كتبها بأسلوب أدبى غاية فى الرقى وتحدث فيها عن أدق تفاصيل حياته بما فى ذلك كونه من المثليين الجنسيين، وقال ديلا نويه فى الكتاب إنه من الممكن أن تنتخب فرنسا فى السنوات القادمة رئيسا مثليا، وهو ما اهتمت به الصحف فى ذلك الوقت أكثر مما ورد فى بقية الكتاب، حيث تحدث عمدة باريس عن نشأته فى الجزائر وقدم صورة صادقة للحياة فى الجزائر فى ذلك الوقت، كما تحدث أيضا عن الخطر الذى يواجه باريس فى الوقت الحالى وهو الإرهاب وكيفية التصدى له.

كذلك وجدت فى المكتبات الفرنسية ديوانا جديدا لرئيس الوزراء دومنيك دى فيلبان الذى يعتبر شاعرا قوى المراس أصدر العديد من الدواوين الشعرية، وكتاباً آخر لجاك لانج وزير الثقافة الاشتراكى الأشهر بعنوان (أنا فى متحف التاريخ الطبيعى) وهو كتاب للأطفال وغيرهم.

وبرغم وجود كتاب وأدباء فى دول أخرى فى العالم يعملون فى مجال السياسة مثل ماريو فارجاس يوسا فى الأرجنتين أو فاتسلاف هافيل فى التشيك، إلا إنهم كانوا جميعا أدباء فى الأصل ولم يكونوا رجال سياسة اتجهوا إلى الأدب.

أما فرنسا فهى من الحالات القليلة التى وجدنا فيها رجال سياسة يكتبون الأدب، فإذا نظرنا إلى التاريخ الفرنسى نجد الكتابة جزءاً لا يتجزأ من العمل السياسى على مدى العصور، فريشليو مثلا أبو الدبلوماسية فى فرنسا وفى العالم أجمع كان كاتبا، كذلك كان شاتوبريان، وفى العصر الحديث نجد فرانسوا ميتران الذى وصل عدد كتبه إلى أكثر من ٢٠ كتابا.

وتعود تلك الظاهرة بلا شك إلى ولع الفرنسيين بالأدب وبالثقافة لذلك فرجل السياسة الذى يكتب كتابا يضفى على شخصيته قدرا من الاحترام والتقدير من جانب الجمهور الفرنسى، كما يحظى باهتمام إضافى، فما أن يصدر لأحد السياسيين كتابا حتى تستضيفه البرامج الثقافية فى التليفزيون وتكتب عنه الصفحات الأدبية بالصحف والمجلات.

وقد وافقتنى جوزيان سافينيو المحررة الأدبية لجريدة (لوموند) فى ذلك وقالت (إن تلك ظاهرة فرنسية بحتة، فهنا لا يستطيع أى إنسان أن يوجد على الساحة ما لم يكن له كتاب، ورجال السياسة ليسوا استثناء، فجميعهم يودون أن يعرفوا ككتاب).

أما رجل السياسة الصحفى أوليفيه ديهامل فيقول (إننا فى فرنسا نكاد نقدس الأدب، لذلك يعتقد السياسيون عندنا أن الشعب الفرنسى يبحث دائما عن القادة الذين يعرفون التأليف).

وحين التقيت الرئيس الفرنسى السابق فاليرى جيسكار ديستان كان قد ترك أعباء المنصب السياسى وكانت روايته (المر) قد صدرت عن دار روبير لافون، وكان من الطبيعى أن أساله عما دفعه إلى الكتابة الروائية وهل هو مجرد اعتزاله السياسة؟

قال جيسكار: لقد داعبتنى فكرة الكتابة الأدبية لسنوات طويلة. وكثيرا ما بدأت أكتب بالفعل عملا أدبيا لكن لم أكن أستطيع أن أتفرغ له حتى أكمله.

ثم قال لى: وروايتى التى تتحدث عنها لم تطرأ لى فكرتها أخيرا، وإنما ظلت تلح على لسنوات طويلة والذى جعلنى أكتبها الآن عاملان أساسيان، أولهما أننى وجدت أخيرا الفرصة كى أتفرغ لكتابتها، وثانيا أننى قمت بزيارة لليابان وهناك زرت البيت الذى كان يسكن فيه الشاعر الفرنسى بول كلوديل وقت كان سفيرا لفرنسا فى طوكيو، وهناك اطلعت على قصيدة للشاعر الكبير وهى التى فتحت أمامى الطريق لهذه الرواية، ولذلك فقد أوردت نص القصيدة فى نهاية الكتاب، وقد كانت زيارتى لليابان هى التى حولتنى إلى كاتب روائى.

وإذا جاز لنا أن نلخص موضوع رواية (المر) لفاليرى جيسكار ديستان فهى تدور حول (معجزة الخليقة)، وبطلتها فتاة فرنسية من الجيل الحديث هى التى تروى أحداث الرواية من وجهة نظرها، وقد أخبرنى جيسكار أنه وجد أن ذلك يخلق نوعا من الحميمية يقرب بين القارئ وأحداث الرواية.

ويقول جيسكار إنه قد حاول تفهم وجهة نظر الفتاة برغم الاختلاف بين الجيلين، فهى تنتمى لجيل يريد أن يعيش حياته بحرية كاملة لذلك فهو قد يتحرر من كل ما هو متوارث من تقاليد وأعراف، وهو عكس ما تربى عليه جيل جيسكار ديستان.

وأسأل جيسكار عن أهم الكتاب الروائيين الذين تأثر بهم فيقول: تأثرت بكتاب القرن الـ ١٩ الكبار خاصة الروس منهم مثل تولستوى الذى لا يكاد يفارقنى كتابه العظيم (الحرب والسلام)، كما تأثرت أيضا بشعر بوشكين.

أما الكتاب الفرنسيون الذين يفضلهم فهم جوستاف فلوبير وجى دى موباسان.

ثــم أقول لجيســكار ديســتان: والآن وبعــد أن خابرت الحياة السياســية والأدبية معا أيهما تفضل؟

فيقول: لا أســتطيع أن أقول إننى حققت فى الأدب ما استطعت تحقيقه فى السياسة، فقد وصلت فى السياسة إلى أعلى موقع فى البلاد وهو رئاسة الجمهورية، لكن لا أستطيع أن أدعى أننى حققت نفس الإنجاز فى الأدب.

قلت: ربما لأنك لم تبدأ الكتابة الأدبية إلا نهاية المشوار، لكن لو عاد بك العمر إلى الوراء هل كنت تختار الأدب أم السياسة؟

فيبتســم وهو يقول: الآن أقول لك إننى كنت أختار الأدب فقد اســتمتعت جدا بكتابة هذه الرواية، لكن أؤكد لك أنه لو عادت الســنوات إلى الوراء فســأجدنى اخترت السياسة مرة أخرى لأننى لن تكون لدى خبرة الكتابة الأدبية التى عرفتها الآن واستمتعت بها.

وبعد أن انتهى لقائى بفاليرى جيسكار ديستان وخلوت إلى نفسى فكرت فى حال بلادنا وقلت: كم كانت الحياة ستكون أفضل لو أن رجال السياسة عندنا كانوا يكتبون الأدب مثل نظرائهم الفرنسيين.. لكن بعد بعض التأمل وجدت أنه من الأفضل أن نعدل السؤال فنقول: كم كانت الحياة ستكون أفضل لو أن رجال السياسة عندنا كانوا يقرأون الأدب!!

❑❑❑

جودى دينش:
وجهى لا يصلح للسينما!

تعتبر جودى دينش ممثلة المسرح الأولى فى بريطانيا الآن، وقد ذاع صيتها فى العالم فتلقفتها هوليوود لتقوم بتمثيل عدة أفلام لاقت نجاحا كبيرا ونالت (الأوسكار) عن دورها فى فيلم (شكسبير محبا)، ولقد عرفت جودى دينش فى أواخر الستينيات حين كنت أدرس فى بريطانيا وكانت مازالت ممثلة شابة فى فرقة شكسبير الملكية ثم قابلتها بعد ذلك بعشرين عاما بعد أن صارت نجمة الفرقة الأولى وحصلت من الملكة على لقب (ديم) Dame.

جودى دينش

فى أواخر الثمانينيات قدمت فرقة شكسبير الملكية عرضا عظيما لرائعة شكسبير (أنطونيو وكليوباترا) وقد نال العرض عدة جوائز نقدية واعتبر آنذاك أفضل عرض مسرحى فى (الويست إند) وهو حى المسارح فى العاصمة البريطانية، وكنت فى زيارة للندن فى ذلك الوقت فذهبت أشاهد هذا العرض الذى كان على وشك أن ينتقل إلى نيويورك.

كانت بطلة العرض هى (ديم) جودى دينش عملاقة المسرح البريطانى، وكان البطل أمامها الذى يقوم بدور أنطونيو هو الممثل البريطانى الشهير أنتونى هوبكنز، وقد لاحظت

أن السنوات أضافت الكثير إلى وجه جودى دينش، وكذلك إلى خبرتها المسرحية، فلم تكن تلك هى الممثلة الشابة التى عرفتها عام ١٩٧٠م والتى كانت آنذاك فى أواسط الثلاثينيات من عمرها، لكن مخرج العرض كان يقدم بهذا العرض تفسيرا جديدا لرائعة شكسبير الشهيرة، حيث استطاع أن يجد فى النص ما يؤكد وجهة نظره بأن بطلى العرض وهما الملكة المصرية وعشيقها القائد الرومانى كانا قد تخطيا سن الشباب وأن عشقهما المجنون هذا كان محاولة يائسة منهما للتشبث بالحياة ولم يكن نزوة من نزوات الشباب، من هنا كانت مسحة التراجيديا التى صبغت ذلك الحب الذى انتهى بانتحار الاثنين معا.

ولقد جسدت جودى دنيش المرأة التى تتعلق بحبها وكأنه طوق النجاة الأخير وسط أمواج وعواصف سنوات العمر المتلاحقة والتى لا تعرف الرحمة.

وبعد انتهاء العرض هنأت بطلته سيدة المسرح الأولى فى بريطانيا وتذكرنا معا لقاءاتنا قبل ما يقرب من ٢٠ عاما، وكانت المرة الأولى التى شاهدت فيها جودى دينش على المسرح فى عام ١٩٧٠م فى مسرحية (الليلة الثانية عشرة) لشكسبير فقد كنت أدرس آنذاك فى جامعة أوكسفورد وكان على أن أحضر دورة فى مسرح شكسبير يقدمها أستاذ المسرح الكبير جاى. بى. سبنسر فى بلدة ستراتفورد آيون إيفون التى ولد بها شكسبير والتى هى مقر فرقة شكسبير الملكية، وكان هذا (الكورس) من أمتع ما حضرت، فقد كان يعتمد على المحاضرات حول مختلف جوانب مسرح شكسبير والتى كان يلقيها علينا الأساتذة المتخصصون فى هذه المواد بقيادة الدكتور سبنسر، ثم فى المساء كنا نحضر عروض فرقة شكسبير الملكية التى كانت تقدم كل ليلة مسرحية جديدة للشاعر الكبير الذى تتخذ الفرقة اسمها من اسمه.

كانت جودى دنيش فى ذلك الوقت من ممثلات الفرقة اللاتى بدأ يبزغ نجمهن فى عالم الفن وقد تخرجت فى واحد من أهم معاهد التمثيل فى بريطانيا وهو :

Central School of Speech and Drama

وأكدت حضورها على المسرح بمجرد تخرجها حين قامت بدور أوفيليا فى مسرحية هاملت.

وخلال فترة إقامتى فى ستراتفورد والتى امتدت لأسبوعين كنت أذهب مع بقية زملاء الدراسة بعد انتهاء العرض المسرحى إلى حانة شهيرة اسمها (رأس الملك) كانت ملتقى

ممثلى فرقة شكسبير بعد مغادرة المسرح وهناك التقيت لأول مرة بجودى دنيش وتحدثنا فى أشياء كثيرة كان فى مقدمتها بالطبع مسرح شكسبير.

وقالت لى جودى فى ذلك الوقت إنها تشعر بألفة كبيرة فى ستراتفورد وتجد نفسها متحكمة تماما فى المسرح حين تكون فيها، لكنها حين تذهب لعرض المسرحية فى لندن تفقد بعض ثقتها فى نفسها وتحتاج إلى سيطرة أكبر على المسرح.

قلت لها: ربما لأنك أصلا لست ابنة لندن، فقد ولدت فى مدينة يورك التاريخية الصغيرة ولم تذهبى إلى العاصمة إلا للدراسة.

قالت: ربما، ثم إن أول أدوارى والذى لفت إلى الأنظار فى مسرحية هاملت كان فى مدينة ليفربول وليس فى لندن، وقد التحقت بعد ذلك بفرق مسرحية فى أوكسفورد ثم نوتنجهام قبل أن أنضم إلى فرقة شكسبير الملكية قبل أقل من عشر سنوات.

ثم قالت: إننى أشعر أن المتفرج الذى يأتى لمشاهدة مسرحية لشكسبير فى ستراتفورد أو أوكسفورد مثلا لا يأتى إلا بسبب عشقه للمسرح، أما فى لندن فهناك من الناس من يأتون إلى المسرح مثلما يذهبون إلى حديقة الحيوان أى لكى يمارسوا حب استطلاعهم ويتفرجوا على الحيوانات ليشاهدوا كيف تأكل وكيف تتحرك!

وأذكر وقتها أننى سألت جودى دنيش عن السينما فقالت لى: أنا لا أصلح للسينما، وقد أخبرنى أحد المخرجين أن وجهى به كل العيوب التى لا تحبها الكاميرا!

لكن ها هى ذى السنوات قد مضت واقتحمت ممثلة المسرح البريطانية هوليوود، ونالت أيضا أكبر جائزة سينمائية وهى (الأوسكار) عن دورها فى فيلم (شكسبير محبا) حيث جسدت فيه دور الملكة إليزابيث الأولى، ومن الغريب أن هذا الدور لم تزد مدته فى الفيلم على ثمانى دقائق، لكن تلك الدقائق المعدودة كانت كافية كى تؤكد جودى دنيش من خلالها أستاذيتها وتحصل بها على أكبر جائزة سينمائية فى العالم.

على أن دور الملكة إليزابيث لم يكن هو الدور الوحيد لجودى دنيش فى السينما سواء فى هوليود أو فى بريطانيا نفسها رغم أن اتجاهها إلى السينما لم يبدأ إلا فى أواسط التسعينيات وإذا كانت قد فازت بالأوسكار فى عام ١٩٩٩م فقد رشحت للجائزة أكثر من ست مرات قبل وبعد ذلك، كما فازت بجائزة (تونى) فى نفس العام عن فيلم (رؤية إيمى) بالإضافة

للجوائز التى حصلت عليها فى المسرح وخاصة جائزة لورانس أوليفييه التى كانت الممثلة الوحيدة التى حصلت عليها ست مرات، وحصولها أيضا على لقب (ديم) من ملكة بريطانيا والمساوى للقب (لورد) للرجال.

ولقد تفحصت وجه جودى دنيش جيدا وأنا أشاهد فيلم (شكسبير محبا) وتذكرت مقولتها لى بأن أحد المخرجين وصف وجهها بأنه لا يصلح للسينما فلم أجد فيه إلا قدرة تعبيرية خارقة تفوق قدرات صاحبته فى المسرح، ففى المسرح أداة الممثل فى التعبير هى صوته وجسده، أما تعبيرات وجهه فتأتى فى المرتبة التالية لأنها لا تظهر بوضوح على المسرح، أما فى السينما فتعبيرات الوجه هى الأساس، ولقد رأيت قدرات فذة بالفعل فى وجه هذه الفنانة العبقرية التى يعتبرها البعض أكبر ممثلة بريطانية منذ انتهاء الحرب العالمية الأخيرة، ولابد أن من منحوها جائزة الأوسكار قد وجدوا ما وجدته فى وجهها بخلاف رأى ذلك المخرج السينمائى الذى لا أذكر أن قالت لى جودى دنيش اسمه والذى عطل ظهورها فى السينما عشرات السنوات، ولقد شعرت بتلك الخسارة حين شاهدت بعد ذلك فيلم (أيريس) الذى قامت جودى ببطولته عام ٢٠٠١م والذى جسدت فيه الأيام الأخيرة فى حياة الروائية البريطانية الراحلة أيريس مردوك من خلال كتاب لزوجها صور فيه كيف غابت عنه بالتدريج وعن الحياة بعد إصابتها بمرض الزهايمر، وقد رشحت جودى دنيش مرة أخرى للأوسكار لدورها فى هذا الفيلم لكنها لم تفز به.

❑❑❑

خادم الحرمين الشريفين:
الثقافة تجعل الإنسان إنسانا!

سوف يُذكر للملك عبد الله بن عبد العزيز أنه مؤسس المهرجان الوطنى للتراث والثقافة بالجنادريــة والــذى وصل هــذا العام إلى دورته الـــ ٢٢ فأصبح أحــد المهرجانات العربية الراسخة القدمين والتى شارك فيها عدد غير محدود من الكتاب والمثقفين العرب على مدى السنين الماضية.

خادم الحرمين الملك عبد العزيز آل سعود يتحدث إلى محمد سلماوى

فإلى جانب حنكته السياسية يتميز الملك عبد الله ببعد إنسانى لا يختلف عليه اثنان، فمن المعروف عنه أنه لا يرد سائل لجأ إليه وقد خصص يوما محددا لمقابلة من لديه حاجة سواء على المستوى الأدبى أو المادى، ولقد لاحظت أن القاعة المخصصة لهذه اللقاءات قد ووضعت

على جانبيها لافتتان تحملان الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة الحجرات: آية: ٦]، وعلمت أن الملك يتلقى الكثير من الشكاوى فى هذه القاعة من المظلومين ضد بعض المسئولين.

فى نفس هذه القاعة التقيت بالملك الذى لا يوصف بـ (جلالة) الملك باعتبار أن صاحب الجلالة هو الله وحده عز وجل، ولذا فإن اللقب المحبب لديه ولدى سائر ملوك السعودية هو (خادم الحرمين).

كنا ضيوفا على مهرجان الجنادرية وقد أقام خادم الحرمين مأدبة غداء على شرف الضيوف المشاركين فى المهرجان، وطلب منى أن ألقى كلمة الضيوف فى حضرة الملك، فشكرته وشكرت القائمين على المهرجان على الحفاوة التى استقبلنا بها، وقلت: إن المهرجان الذى ترسخت أقدامه الآن على مدى ٢٢ عاما على خريطة المهرجانات الثقافية العربية هو إحدى الوسائل الفعالة فى تأكيد الهوية الثقافية العربية فى وقت تتعرض هذه الهوية إلى هجوم عنيف يهدف لتزييف صورتنا وتقديمنا باعتبارنا بغير حضارة وتقديم ثقافتنا باعتبارها ثقافة عنف ودماء.

وقلت: لكننا متفائلون هذا العام، فقد جاء المهرجان بين حادثين سعيدين، أولهما هو اتفاق مكة بين الفصائل الفلسطينية على وقف الاقتتال، والثانى هو اجتماع القمة العربية المقبلة خلال بضعة أسابيع، وتمنيت ألا يكون هذين الحدثين قوسين سعيدين فى السياق العربى البائس، ما أن ينتهيا حتى نعود إلى سائر عهدنا الحزين.

ولقد سلم على الملك بحفاوة وشد على يدى وقد علت وجهه ابتسامة هادئة وهو يقول: إن شاء الله يكون السياق العربى سعيدا مثل الحدثين اللذين تحدثت عنهما، فقلت بجهودك يا خادم الحرمين فأنت المضيف فى القمة القادمة وعلى السعودية أن تكون فوق كل الخلافات العربية، فقال لى: ليست لدينا خلافات مع أى طرف عربى، قلت: هل سيتم دعوة جميع الأطراف العربية؟ قال ضاحكا وقد فهم مغزى سؤالى: من الشرق ومن الغرب أيضا!

ثم سألنى الملك عن رأيى فى المهرجان فقلت له: لقد كان فرصة عظيمة للالتقاء بالأشقاء من المثقفين العرب، وهنأته على بعد نظره الذى دعاه لإقامة هذا المهرجان قبل ٢٢ عاما،

فقال: إنى أهتم دائما بالإنســان، وكل ما يتعلق بإنسانيته، وفى القلب دائما تكون الثقافة والتراث الحضارى فهى التى تجعل الإنسان إنسانا!

وتذكرت تلك المقولة بعد ذلك وأنا أشاهد الملك عبد الله بن عبد العزيز، عاهل المملكة، وهو يشــارك جمهور مهرجان الجنادرية رقصة (العرضة) السعودية، ومن المعروف أن الملك هو أفضل من يجيد تلك الرقصة التراثية فى الأسرة المالكة.

لقد كان مشهدا رائعا حقا للملك الذى تخطى الثمانين وهو يقوم بتلك الرقصة التقليدية رافعا سيفه إلى أعلى فى لوحة بديعة ومن حوله بقية المشاركين، ورغم أن رقصة (العرضة) السعودية ترمز إلى حرب إلا أن مشهد الملك وهو يوقع بقدميه مع الموسيقى، ومشهد ذراعه المرفوعة بالسيف كان خلابا، يفيض إنسانية وعذوبة.

ولقد تجلت إنسانية الملك فى أكثر من مناسبة كان من بينها تلك العملية الجراحية التى أوصــى بإجرائها على نفقة المملكة لفصل توأم بولندى سمع عنه من أحد الأطباء فأمر على الفــور بإجراء الجراحة، لذلك لم يكــن غريبا أن يأمر فى نهاية مهرجان الجنادرية بعلاج الشــاعر المصرى محمد أبو دومة فى مستشــفى الملك فيصل بعد أن تدخل اثنان من تلاميذ أبو دومة الســعوديين لدى الملك، وكان أبو دومة قد تم علاجه قبل ذلك ومنذ بضعة أشــهر على نفقة الدولة فى مستشفى عين شمس التخصصى، لكن طلبته رأوا أن يستكمل علاجه فى مستشفى الملك فيصل فوافق الملك عبد الله على الفور.

ولقــد انتهــزت فرصة لقائى مع الملــك لأتحدث إليه عن ضرورة إقامــة اتحاد للكتاب السعوديين، وقلت له: أنا أعرف أن لديكم نوادى أدبية عديدة لكن الأدباء السعوديين قاموا أخيرا بتجميع أنفسهم فى اتحاد واحد وأرسلوا بأوراق إليكم كى يتم إصدار المرسوم الملكى الخاص به، ونحن من جانبنا ككتاب عرب إنما نتطلع إلى صدور ذلك المرســوم أيضا حتى نســعد بعضوية الاتحاد الســعودى فى الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، إذ لا يصح أن يكون هناك اتحاد عربى للكتاب ولا يكون الكتاب السعوديين ممثلين فيه.

ولقــد فاجأنــى الملــك عبد الله بعــد أن نقلت إليه كل تلــك التفاصيل بأنــه على علم بالموضوع، وقال لى: لقد أرسلت الموضوع برمته إلى مجلس الشورى حتى تتم مناقشته ضمن مشروع قانون الجمعيات الأهلية الذى سيصدر قريبا.

ووجدت أن ما التزم به الملك كإجراء هو أسلم وأكثر اتساقا مع المنهج الديمقراطى من إصدار مرسوم ملكى لا يحظى بالمناقشة فى المجلس النيابى الذى يمثل الشعب، وحين أخبرت الأصدقاء من الكتاب السعوديين بعد ذلك بما قاله لى الملك ارتاحوا لهذا الإجراء وصاروا يتطلعون قريبا إلى إعلان اتحاد الكتاب السعوديين وانضمام اتحادهم إلى الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

ولقد لا حظت فى حفل الغداء الذى أقامه الملك أن الضيوف كانوا بمجرد أن ينتهوا من تناول الطعام يغادرون القاعة خاصة السعوديين منهم دون أن ينتظروا أن يغادر الملك أولا كما تقضى قواعد البروتوكول فى مثل هذه المناسبات وحين أبديت هذه الملاحظة لأحد الوزراء الذى كنت أجلس إلى جانبه قال: البروتوكول الدولى شىء وما يفعله خادم الحرمين عندنا شىء آخر فهنا لأن الملك هو الداعى فهو لا يستطيع ذوقيا أن يغادر القاعة إلا بعد أن يتأكد من أن ضيوفه قد تناولوا طعامهم وغادروا القاعة بالفعل، لذلك فنحن نسارع بالمغادرة بمجرد الانتهاء من تناول الطعام حتى لا نثقل على الملك لأنه لن يغادر القاعة مادام الضيوف جلوسا.

فسارعت بدورى بالمغادرة حتى يتمكن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك السعودية من العودة إلى أعماله التى لابد أنها تناديه، فهو لن يغادر القاعة قبل مغادرتنا لها.

❑❑❑

رئيس وزراء أستراليا:
دعنى أجرى معك حديثا صحفيا!

كانت تلك هى المرة الوحيدة التى يجرى معى رئيس للوزراء حديثا صحفيا بدلا من أن أجريه أنا معه، كان رئيس الوزراء هو مالكوم فريزر رئيس وزراء أستراليا الذى كنت قد وصلت إلى العاصمة كانبرا للقائه، كنا فى خريف عام ١٩٨١م وكانت البلاد تستعد للانتخابات النيابية التى كانت ستحدد ما إذا كان فريزر سيستمر فى موقعة أم سيتركه فى حالة عدم فوزه.

دخلت على رئيس الوزراء الأسترالى مالكوم فريزر فرحب بى ترحيبا كبيرا حيث كانت تجمعنى به معرفة سابقة سمحت له بأن يوافق على إعطائى ساعة من وقته لإجراء حوار صحفى بجريدة (الأهرام) رغم أن الانتخابات كانت على الأبواب وكانت تستحوذ على معظم وقته واهتمامه وصارت كل دقيقة تساوى الكثير فى تلك الأيام الأخيرة قبل بدء التصويت.

لذلك كان علىّ أن أعبر لرئيس الوزراء عن تقديرى العميق لقبول إجراء الحوار فى هذه الظروف الدقيقة، وأردت ألا أضيع المزيد من الوقت فى كلمات الشكر من جانبى أو الترحيب من جانبه، لكن رئيس الوزراء واصل ترحيبه وأخذ يسألنى إن كانت رحلتى لأستراليا مريحة أم أن طول ساعات الطيران قد أرهقتنى.

وكنت على وشك أن أنهى هذا اللطف الزائد بالدخول مباشرة فى الأسئلة التى جئت بها حين فاجأنى فريزر بالسؤال: ما هذا الذى يحدث فى مصر؟ ولم أفهم سؤاله فقلت: ماذا تقصد؟ قال: أقصد حملة الاعتقالات الواسعة التى تجرى الآن.

قلت: غريبة لقد اطلعت على الصحف هذا الصباح لكنى لم أجد ذكرا لحملة اعتقالات واسعة تجرى فى مصر! قال: لابد أن فارق التوقيت بين بلدينا حال دون نشر الصحف الأسترالية للخبر، لكن سفارتنا فى القاهرة أبلغتنا بها منذ قليل.

كان الوضع فى مصر فى ذلك الوقت مضطربا للغاية وكانت أحداث الزاوية الحمراء الطائفية لم تخف حدتها بعد، وفى زيارة قام بها الرئيس السادات للولايات المتحدة قبل

حوالى أسبوعين قال إنه حال عودته ستكون له (وقفة) مع الاتجاهات الدينية التى (تمادت كثـيرا) على حد قوله، لذلك رويت هذا لرئيس الوزراء وقلت: ربما كانت هذه الاعتقالات هى (الوقفة) التى قصدها السادات.

لكن فريز قطب حاجبيه وهو يقول: الحقيقة أننا غير قادرين على تفسير المغزى من تلك الاعتقالات، وتغيب عنا تماما علاقة الكثيرين ممن تم اعتقالهم بالجماعات الإسلامية، مثل فؤاد سراج الدين ومحمد حسنين هيكل وغيرهما.

وما أن سمعت تلك الأسماء حتى سـقط قلبى وأدركت على الفور أن المسـألة أكبر بكثير من مجرد (وقفة) مع الجماعات الإسلامية، إنها أكثر من (وقفة) مع الحياة السياسية كلها من يمينها إلى يسارها.

وأضاف فريز وهو يحاول أن ينتقى كلماته بعناية: إن سفارتنا فى القاهرة على علم كما أنت مدرك بموعدنا اليوم وقد أخبرتنى بأن اسمك قد ورد ضمن تلك القوائم.

قلت على الفور: قوائم الاعتقال؟

قال: إنها قوائم نشـرت فى صحفكم تتضمن أسماء المعتقلين والمبعدين عن عملهم، لكن فيما عدا من نشر أنهم اعتقلوا بالفعل غير واضح أى من هذه الأسماء سيتم اعتقالها وأى منها سيكتفى بإبعادها.

قلـت على الفور: فى هذه الحالة فإنى أشـكرك على هذه المقابلـة وأعتذر عنها لأنها كما هو واضح قد لا تجد طريقها للنشـر، وأنا أعلم قيمة الوقت بالنسـبة لك وقد أصبحت الانتخابات الآن على الأبواب.

وهممـت بلملمـة أوراقى وجهاز تسـجيلى حين فوجئت برئيس الـوزراء يقول لى: بل اجلس قليلا سـنجرى حديثنا، لكنى أنا الذى سـأجريه معك، فنحن نتلقى طوال الوقت التقاريـر الرسميـة من مختلف أنحاء العالم لكننا لا تواتينا كل يوم الفرصة لمقابلة شـخص قادم من داخل البلاد نفسها، ثم أخذ يوجه لى الأسئلة بدلا من أن أوجهها أنا له، فقال: ما هو الوضع فى مصر الآن؟ وما هى القوة الحقيقية للجماعات الدينية؟

ولماذا يعارض الناس اتفاقية كامب ديفيد؟ إلى آخر الأسئلة التى فجرتها حملة الاعتقالات التى جرت فى سبتمبر ١٩٨١م والتى فوجئ بها العالم كما فوجئنا بها فى مصر.

ولســت أعرف كم اســتمر الحديث الذى أجراه معى رئيس وزراء أستراليا، فلم أكن فى حالتــى الطبيعية، لكنى أتصور أن تخطى الوقت الذى كان مقررا، فقد دخل علينا معاونو رئيــس الوزراء أكثر من مرة ينبهونــه إلى ارتباطات أخرى، وفى كل مرة كنت أتوق لإنهاء المقابلة كى أذهب للاتصال بالقاهرة لمعرفة رأسى من قدمى.

وما أن خرجت من مقر رئاســة الوزراء فى العاصمة الأســترالية كانبرا حتى هرعت إلى الفنــدق وقمــت بالاتصال بالقاهرة، لكن معلوماتى لم تزد قيد أنملة عما أخبرنى به مالكولم فريزر إلا بعض الأسماء الإضافية التى كانت قد نشرت فى الصحف وعلمت بها من خلال اتصالى بالأســرة، أمــا فى (الأهرام) فقد تحرج زملائى من الحديــث فى هذا الموضوع ربما بسبب حساسية الظروف السياسية فى ذلك الوقت، وحاولت التحدث مع كل من عبد الله عبد البارى رئيس مجلس الإدارة وإبراهيم نافع رئيس التحرير لكن دون جدوى، أما والدتى فقد نصحتنى بعدم العودة إلى مصر فى هذه الظروف التى لا يعلم بمداها أحد. وأشارت علىّ بالتوجه إلى لندن حيث كنا نمتلك شقة هناك كان يقيم بها آنذاك شقيقى الأصغر.

وهمــت على وجهى فى شــوارع كانبرا أحــاول الوصول إلى قرار فيمــا كان علىّ أن أفعلــه، وفى اليوم التالى جاءنى مندوب من رئاســة الــوزراء يقول لى: إن إجراءات منح اللجوء السياســى فى أســتراليا تعتبر من أكثر الإجراءات الدولية تشــددا، لكن رئيس الوزراء بعد مقابلته لك بالأمس طلب منى أن أخبرك رسميا بأنك لو أحسســت أن هناك خطرا يتهددك فى مصر فإنه سيكون على استعداد للبدء فورا فى إجراءات منحك اللجوء السياسى فى أستراليا.

قلــت لمنــدوب رئيس الوزراء إننى مازلت غير قادر علــى الإلمام بأبعاد الموضوع حتى أتخذ القرار المناســب، لكنى فى جميع الأحوال أشــعر بالامتنان الشديد لرئيس الوزراء على كل شىء.

وبعــد ليلة لم أذق فيها طعم النوم لحظة وصلــت إلى قرار بضرورة العودة إلى مصر قائلا لنفسى إن حياة المنفى فى لندن أو العيش كلاجئ سياسى فى أستراليا قد تكون هى الموت ذاته وأنه حتى لو كنت مطلوبا للاعتقال فإننى قد جربت السجن من قبل فى انتفاضة يناير ١٩٧٧م وخرجت منه بسلام.

وفى الصباح اتصلت شخصيا برئيس الوزراء فأبلغته بقرارى وبامتنانى العميق، ثم طلبت مـــن مكتبه أن يحجزوا لى على أول طائـــرة إلى القاهرة، وحين وطأت قدمى أرض الوطن لم أجد قوات الأمن فى انتظارى بل وجدت خطابا من (الأهرام) ينتظرنى فى منزلى ويخبرنى فيـــه رئيـــس مجلس الإدارة أن علاقتى بالجريدة قد انتهت وأن اسمى ورقم تأمينى قد رفعا نهائيا من سجلات العاملين بالجريدة.. وبحثت فى الخطاب عن كلمة شكر على السنوات العشـــر التى كنت قد أمضيتها حتى ذلك الوقت فى (الأهرام) بعد أن اســـتقلت من عملى معيدا بالجامعة.. فلم أجد.

❑❑❑

ألفريد فرج:
الشرقاوى يخطئ فى النحو!

قد لا يعرف البعض الدور الذى لعبه الكاتب المسرحى الراحل ألفريد فرج فى إنشاء اتحاد كتاب مصر، لكنه فى الحقيقة كان دورا مهما وفاعلا ولولاه لما اجتمعت هذه الكوكبة من أكبر أدباء العصر على ضرورة إقامة اتحاد يجمع الأدباء فى تنظيم نقابى يحميهم ويدافع عن مصالحهم، لقد كان ألفريد فرج هو الذى جمع ما بين عبد الرحمن الشرقاوى وطه حسين وتوفيق الحكيم، ولولا مساعيه لما وقّع هؤلاء على بيان إقامة جمعية الأدباء ولما قام بعد ذلك الاتحاد.

كنا فى المسرح القومى فى شتاء ١٩٩٩م وقد جاء الكاتب المسرحى الكبير ألفريد فرج يشاهد مسرحيتى (رقصة سالومى الأخيرة) بطولة سهير المرشدى وعبد المنعم مدبولى. وفى الاستراحة ما بين الفصلين جلسنا معا فى الصالون نتحدث فى شتى الموضوعات ولست أعرف ما الذى جعلنا نتطرق إلى اتحاد الكتاب.. وقد روى لى الكاتب الراحل قصة إنشائه التى كان ألفريد فرج يعرف عن تفاصيلها ما لم يكن يعرفه إلا القليل، وهكذا امتد الحديث لما بعد انتهاء العرض حيث ذهبنا معا إلى كافتيريا فندق (شبرد) نواصل حديثنا الذى لم يكتمل إلا مع الساعات الأولى لفجر اليوم التالى.

قال لى ألفريد فرج: الناس كلها تقول إن يوسف السباعى هو الذى أنشأ اتحاد الكتاب عام ١٩٧٥م، لكن الحقيقة هى أن عبد الرحمن الشرقاوى كان أول من فكر فى إنشاء ذلك الاتحاد عام ١٩٥٥م حيث أقام ما كان يعرف بجمعية الأدباء والتى لولاها ما قام الاتحاد بعد ذلك.

وعاد ألفريد بذاكرته إلى الوراء وهو يقول إنه بدأ حياته فى أوائل الخمسينيات مدرسا بإحدى المدارس الثانوية فى شبرا، بينما كان عبد الرحمن الشرقاوى محققا بوزارة المعارف (التعليم الآن) وكان يزامل الشرقاوى فى المكتب شابان آخران يهويان الكتابة مثله هما فتحى غانم وأحمد بهاء الدين، لكن ألفريد كان قريبا من الشرقاوى رغم أنه لم يكن يعمل معه وكانا يلتقيان بانتظام فى أحد مقاهى مصر الجديدة، وفى أحد هذه اللقاءات فاتح

الشرقاوى ألفريد فى ضرورة أن يشرع الأدباء فى إقامة نقابة لهم تحمى مصالحهم، وحين وجد الشـرقاوى تحمسـا للموضوع من صديقه المدرس ألفريد فرج الذى كان يهوى الكتابة هو الآخر أخرج الشرقاوى من جيبه إيصال نور – على ما يبدو – وأخذ يكتب على ظهره بيان إنشاء تلك النقابة:

(نحـن الكتاب المصريين اجتمـع رأينا على تكوين اتحاد للأدبـاء والكتاب يدافع عن المهنة ويدعم الأدب والفكر. وحرية النشر وحقوق المؤلف الأدبية والمادية ويمثل أدباء مصر فى الداخل والخارج).

ثـم قال عبد الرحمن الشـرقاوى لصديقه ألفريد فـرج: إذا جمعنا على هذه الورقة مائة توقيع يصبح الباقى هو الاتصال بالدولة ووضع الاتحاد فى القالب القانونى.

كان ذلك فى عام ١٩٥٥م وكانت ثورة يوليو قد أشـعلت حماسـة المواطنين فسعى كل منهم للمطالبة بحقوقه والبحث عن مصالحه، وأخبر الشـرقاوى ألفريد فرج أنه يسـتطيع أن يحصل على توقيع يوسف السباعى على هذا البيان وأن ذلك سيسهل لهم الأمور كثيرا، حيث كان السـباعى هو أحـد الضباط الأحرار بالإضافة لكونه أديبـا روائيا أيضا، وطلب الشـرقاوى من ألفريـد أن يحاول الحصول على توقيع توفيـق الحكيم الذى كانت تجمعه به صلة الأستاذ بتلميذه، وكذلك طه حسين الذى كان يعرفه معرفة شخصية.

ويروى لى الكاتب المسـرحى الكبير رحمه الله أن الشرقاوى (كسفنى كسفة كبيرة) حين قـام ألفريد بعرض الأمر على الدكتور طه حسـين، فقد أخـذ ألفريد يقرأ عليه البيان الذى كتبه الشرقاوى على إيصال النور ليضع عليه توقيعه وما أن بدأ يقرأ قائلا: (نحن الكتاب المصريين.. ..) حتى استوقفه عميد الأدب العربى مصححا: نحن الكتاب (المصريون)..

ويقول ألفريد: كانت تلك من أكثر المواقف المحرجة التى تعرضت لها فى حياتى فقد نظـرت جيدا فى الورقة عسـى أن أكون أخطأت فى القـراءة فوجدتها مكتوبة (المصريين) بكل وضوح وسـأله الدكتور طه: من الذى كتب ذلك البيان؟ فقال ألفريد: إنه عبدالرحمن الشـرقاوى يا باشـا، فقال طه حسين: ليس غريبا عليه ذلك فهو قد جدد فى الشعر وربما كان يريد أن يجدد فى النحو أيضا!!

وخشـى ألفريد ألا يوافـق الدكتور طه على الانضمام إلى (جمعية الأدباء) بسـبب ذلك الخطأ النحوى الفادح الذى سـهى على كاتبه وعلى قارئه أيضا، فقال له: أرجو يا باشـا

ألا يجعلك هذا تحجم عن المشـاركة فى الاتحاد، فقال له طه حسـين: هل أنت من ضمن المؤسسين فرد ألفريد ذاكرًا بعض الأسماء مركزا على الأسماء اليمينية إلى أن اطمأن الدكتور طه حسين إلى أن الاتحاد لن يكون لليساريين وحدهم، فوافق على الانضمام.

وهكـذا كان طه حسـين هو أول من وقع بالختم على بيان تأسـيس اتحاد كتاب مصر والفضل فى ذلك لألفريد فرج، ثم تلاه توفيق الحكيم بمبادرة مماثلة من ألفريد فرج أيضا، ثم جاء بعد ذلك دور يوسـف السـباعى، ومع ذلك فإن ألفريد فرج يعترف بأن السـباعى كان هو (الدينامو) الذى حرك الأمور وحوّل هذا البيان بما كان يحمله من توقيعات إلى أمر واقع، مذللا كل العقبات البيروقراطية التى عادة ما تقابل شهر أى كيان جديد.

وهكذا نشـأ فى مصر ما أصبح يعرف باسـم (جمعية الأدباء) والتى أنشـئت وفق قانون الجمعيات الاجتماعية، وكان أول رئيس تم انتخابه للجمعية هو الدكتور طه حسين نفسه، أمـا مجلس الإدارة فكان يتكـون من توفيق الحكيم وعباس محمـود العقاد ومحمود تيمور وعزيز أباظة، ومن الجيل الجديد يوسـف السباعى وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وثروت أباظة وعبد الرحمن الشـرقاوى وأحمد بهاء الدين، وقد انتخب يوسـف السـباعى سكرتيرا عاما للجمعية بالتزكية.

ويبتسـم ألفريد فرج وهو يسـتعيد ذكرياته ثم يقول: لقد ظلت (جمعية الأدباء) تطالب بتطبيـق قانـون النقابات والاتحادات عليها إلى أن صدر بعد ذلك بعشـرين عاما وفى عام ١٩٧٥م قانـون إنشـاء اتحاد الكتاب الذى نص فى أول مادة منه على الآتى: (تنشـأ فى جمهورية مصر العربية نقابة تسمى .. اتحاد الكتاب.. ويكون لها الشخصية الاعتبارية..) وتمر السـنون وأشرف بانتخابى رئيسا لاتحاد الكتاب فى مارس ٢٠٠٥م، وفى نوفمبر من نفـس العـام كنا نعد لمؤتمر دولى نحتفـل فيه بمرور ٣٠ عاما على إنشـاء الاتحاد فى عام ١٩٧٥م، وكان ألفريد فرج فى ذلك الوقت قد مرض فى لندن ودخل المستشفى، وهو المرض الذى لم يشـف منه رحمه الله، واتصلت بألفريد فرج فى مستشـفاه بلندن كى أطمئن عليه فكان أول ما قاله لى : هل أنتم تحتفلون بالفعل بمرور ٣٠ عاما على إنشاء الاتحاد، قلت: نعم ونتمنى أن تعود بالسلامة إلى مصر حتى تشارك معنا فى الاحتفال.

ولكن ألفريد فرج قال لى بسرعة: إن هذا هو العيد الخمسين للاتحاد، فقد بدأ فى عام ١٩٥٥م كما سبق أن أخبرتك رغم أن اسمه فى ذلك الوقت كان (جمعية الأدباء) تماما مثل

الأمم المتحدة التى كانت تعرف باسم عصبة الأمم ثم تغير اسمها بعد انتهاء الحرب العالمية إلى منظمـــة الأمم المتحدة، فهل يقول أحـــد إن تاريخ المنظمة يبدأ منذ سميت الأمم المتحدة بالطبع لا، فالعصبة هى المنظمة الدولية مثلما أن الاتحاد هو الجمعية.. فتلك المسميات فى الحالتين إنما تمثل طورا فى تاريخ كل من اتحاد الكتاب والأمم المتحدة.

وقبل أن أنهى المكالمة أكدت على الأســتاذ ألفريد أننا سنكون فى انتظاره فى مصر كى نحتفل معا بالاتحاد الذى كان له دور كبير فى إنشائه.. لكن ألفريد فرج لم يعد.. التهمه المرض هناك فى لندن وعاد إلينا فى مصر جثمانه بعد حديثى معه ببضعة أيام بعد أن كانت روحه قد صعدت إلى بارئها.. جازاه الله خيرا على ما قام به للأدباء والكتاب.

❑❑❑

دونالد ترامب:
اقترضت من أشقائى ١٠ ملايين دولار

يعتبر دونالد ترامب (٦٢ عامًا) أحد أكبر الأغنياء فى مجال العقارات فى الولايات المتحدة حيث تقدر ثروته بحوالى ٣ مليارات من الدولارات، أى ما يزيد على ١٥ مليار جنيه مصرى، لكن حين قابلته لأول مرة فى بداية التسعينيات فى نيويورك كان ما يزال فى كامل عنفوانه فى الـ ٤٧ من عمره لكنه كان مفلسًا لا يحتكم على أى أموال سائلة فى حساباته البنكية وكان يحاول إقناع أشقائه بإقراضه ١٠ ملايين دولار كى يعبر عثرته المالية.

كانت تلك مفاجأة ليس فقط بالنسبة لى الذى كنت أقابل هذا المليونير الشهير لأول مرة وإنما أيضًا للمجتمع الأمريكى نفسه الذى كان يسمع كثيرًا عن ترامب وعن ثروته العقارية الهائلة، لكن أعماله العقارية فى ذلك الوقت كانت فى مرحلة لا تدر الأموال، كما أنه كان قد خرج لتوه من القضية التى رفعتها عليه مطلقته إيفانا والتى حكمت لها المحكمة بتعويض مالى هائل يتناسب مع ثروته الطائلة، وقد شرح لى ترامب أنه اشترى شارع ٤٢ فى نيويورك، وهو أحد أكبر شوارع المدينة، لكنه كان سيئ السمعة لأنه كان رمزًا لتجارة الجنس والبغاء. ففيه كانت المحلات التى تبيع الأدوات والمطبوعات الجنسية وتلك التى تعرض الأفلام المحظورة، وكانت معظم مبانى شارع ٤٢ قديمة لا تليق بمدينة نيويورك فقام ترامب بشرائها ووضع لها تصورًا جديدًا يتم من خلاله هدمها وإعادة بناء الشارع على الطراز الحديث، ولم تكن المبانى الجديدة التى كان ترامب سيقوم بعد ذلك ببيعها أو إيجارها قد اكتمل بناؤها بعد، لذلك كانت أعماله فى مرحلة الإنفاق ولم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة الدخل.

وحين أبديت دهشتى من حجم مبلغ الـ ١٠ ملايين دولار التى قال إنه يحاول جاهدًا الحصول عليها من أشقائه (له شقيقتان وشقيق واحد يدعى روبرت) قال لى دونالد ترامب إن هذا المبلغ هو فقط لتسيير حياته اليومية، وتلبية نفقات مكاتبه ورواتب العاملين بها(!!)

ومضت بضعة أعوام يبدو أن دونالد ترامب استطاع خلالها تسوية أموره والعودة إلى سالف عهده، إذ قرأت أنه اشترى مسابقة ملكة جمال الكون بعدة ملايين من الدولارات،

ووصلتنى منه دعوة للمشاركة فى لجنة تحكيم هذه المسابقة الدولية فى دورتها عام ١٩٩٧م والتى انعقدت فى مدينة ميامى بولاية فلوريدا الجنوبية. وقد شرح لى ترامب بعد ذلك حين قابلته أثناء المسابقة أنه يرغب أن يكون اختيار الفائزات معتمدًا على جمال الشخصية وجمال العقل وليس على جمال المظهر وحده، لذلك اختارنى ككاتب باستطاعته أن يحكم على شخصية المتسابقات وثقافة كل منهن، كما أن وجود عنصر من خارج الولايات المتحدة فى لجنة التحكيم سيضيف بعدًا جديدًا حتى لا يجىء الاختيار معبرًا عن رؤية أمريكية محلية.

وبعد حضورى فاعليات هذه المسابقة الدولية عرفت لماذا قام دونالد ترامب بشرائها، فهى – كما اتضح لى – تدر أرباحًا هائلة وتعتبر مشروعًا استثماريًا ذى عائد يصل إلى ملايين الدولارات، وقد كان تصورى قبل حضورى المسابقة أن سبب اهتمام ترامب بها هو أن زوجته الجديدة مارلا ميبلز والتى كان قد تزوجها أخيرًا ارتبطت بالمسابقة إذ كانت إحدى ملكات الجمال السابقات، لكن ما أن وصلت إلى ميامى حتى عرفت أن ترامب فى سبيله إلى الطلاق مرة أخرى، وكانت الصحف تتحدث عن المؤخر الذى كانت ستحصل عليه مارلا وفق عقد الزواج المبرم بينهما والذى كانت تتراوح قيمته ما بين مليون وخمسة ملايين دولار لأن زواجهما لم يستمر إلا سنتين، ولو أنه استمر لسنة ثالثة لوصلت قيمة المؤخر إلى عشرة ملايين دولار (!!) وهو المبلغ الذى كان يسعى لاقتراضه قبل ذلك بعدة سنوات حتى لا يشهر إفلاسه.

ولقد شرح لى دونالد ترامب أن المسابقة تتكلف حوالى ٦ ملايين دولار لكنها تدر أضعاف هذا المبلغ خاصة من خلال الإعلانات التى تصاحب إذاعتها فى التليفزيون لأنها تعتبر أكثر البرامج التليفزيونية مشاهدة فى العالم إذ يبلغ عدد مشاهديها فى مختلف القنوات الدولية حوالى مليارى مشاهد، ولذلك يحسب ثمن الثانية الواحدة على الهواء بملايين الدولارات، فإذا أضيف إلى ذلك حقيقة أخرى وهى أن دونالد ترامب يمتلك قناة NBC التليفزيونية التى تذيع المسابقة أمكننا أن ندرك المكسب الرهيب الذى تحققه له مسابقة ملكة جمال الكون، والذى لم ينكره.

ويقول ترامب أن أول من تنبه لأهمية المسابقة كمشروع استثمارى هو دول أمريكا اللاتينية التى فاز فيها عدد كبير من المتسابقات اللائى يتم احتكار نشاطهن بعد الفوز فيقمن بأعمال

كثيرة، ويظهرن فى مناسبات عديدة نظير أجر باهظ، وصل الأمر إلى حد إقامة معهد خاص فــى فنزويلا لتدريب وتعليم كل متســابقة علــى ما يمكن أن تحتاجه للفوز فى المســابقة، ابتداء من طريقة المشى السليمة إلى إجراء عمليات التجميل لأى جزء من وجهها أو جسمها يحتاج لذلك. ولقد فوجئت فى السنة التالية لحضورى المسابقة أن الفائزة بلقب ملكة جمال العالم عام ١٩٨١م وهى إيرين ســايس الفنزويلية قامت بترشــيح نفسها لرئاسة الجمهورية الفنزويليــة، وكنت قد قابلت إيرين ســايس التى حضرت حفل الختام للمســابقة الخفيفة فــى ميامى كضيفة شــرف، وتم تكريمها للأعمال الخيرية التــى تقوم بها، وقد ألقت كلمة فى الحفل الذى أذاعته القنوات التليفزيونية قالت فيه: إنها ســتظل تعمل من أجل صالح الشــعب الفنزويلى، ولم يكن أحد من الحضور يعلم آنذاك أنها بذلك تلقى أمام تليفزيونات العالم بأهم خطاب انتخابى فى حملتها من أجل الرئاســة، فمن المعروف أن جميع المحال العامة فى فنزويلا تغلق أبوابها وقت إذاعة المسابقة انتظارًا لإعلان اسم الفائزة وما إذا كانت من فنزويلا، وقد تردد أن إيرين سايس اتفقت مع دونالد ترامب على إعطائها تلك الفرصة مقابل أن تســتضيف فنزويلا المســابقة فى العام التالى، فالمسابقة تعقد كل سنة فى دولة من دول العالم نظير مبلغ مليون دولار تدفعها الدولة إلى إدارة المســابقة، وقيل أيضًا أن ترامب منذ اشترى المسابقة يسعى إلى زيادة هذا المبلغ إلى ٥ ملايين دولار..

ومن الغريب أن دونالد ترامب قام هو الآخر بترشــيح نفســه للرئاسة الأمريكية بعد ذلك وحين سئل لماذا يرشح نفسه قال: ولم لا؟ أما المرة الأخيرة التى قابلت فيها دونالد ترامب فكانت بالمصادفة البحتة فى العاصمة الفرنسية باريس فجلسنا نحتسى القهوة الفرنسية على أحــد مقاهى الشــانزليزيه، أما حديث ترامب هذه المرة فلم يكــن عن ضائقته المالية ولا عن ملكات الجمال وإنما عن السياســة، فقد هاجم جورج بوش بضراوة وقال إن الأمريكيين فى معظمهم الآن ضد حرب العراق حتى أنه لم يصبح من الممكن – على حد قوله – لأى مرشح للرئاسة الأمريكية أن يتحدث عن إبقاء القوات الأمريكية فى العراق إذا كان يريد أن يحصل علــى أصــوات الناخبين، وقال إنه لذلك يؤيد هيلارى كلينتون فــى مقال رودى وجولياني اللذين توقع ترامب أن يكونا هما المتنافسين فى الانتخابات الرئاسية القادمة.

❑❑❑

عبد المنعم مدبولى:
لن أمثل إلا بسلطانية أرز باللبن!

أصر فنان الكوميديا الراحل عبد المنعم مدبولى على أن يحضروا له سلطانية أرز باللبن حسب متطلبات دوره فى مسرحية (الجنزير) وإلا فإنه لن يظهر على المسرح، وذهبت إليه فى كواليس مسرح (تريانون) العريق بباريس لأذكره أننا فى فرنسا وأن الأرز باللبن الذى يطلبه قد لا يتوافر بسهولة، ولولا أنه اقتنع أخيرا بذلك لتم إلغاء العرض.

عرفت فنان الكوميديا العظيم عبد المنعم مدبولى عن قرب من خلال إثنين من أعمالى المسرحية التى شارك فى بطولتها، العمل الأول كان مسرحية (الجنزير) مع ماجدة الخطيب وخالد النبوى ووائل نور وعزة بهاء وقد قدمها المسرح الحديث عام ١٩٩٦م، والثانى كان مسرحية (رقصة سالومى الأخيرة) مع سهير المرشدى والتى قدمها المسرح القومى عام ١٩٩٩م، وقد عرفته فنانا عظيما يفجر المواقف الكوميدية دون أن يلجأ إلى أية حركات بهلونية سواء بجسده أو بألفاظه، فالكوميديا عنده تكمن فى جديته فهو يقدم الموقف الهزلى بجدية شديدة ومن هذه المفارقة تتفجر ضحكات الجمهور، لكنه كان فى نفس الوقت يتمتع بنفسية الطفل الصغير الذى يحب أن تهتم به وإلا أحس بالتجاهل، كما كان يتمتع أيضا بالعناد البرىء الذى يتسم به الأطفال حين يتمسكون بشىء يرفض الكبار إعطاءه لهم.

ولقد كنت أولى مدبولى اهتماما خاصا لمعرفتى بأهمية ذلك بالنسبة له وكنت أحرص على أن يكون دائمًا فى حالة نفسية جيدة قبل أن يبدأ العرض، لكنى خابرت عن قرب عناد الطفل فيه فى أكثر من مناسبة كانت أكثر فداحة حين أصر أثناء عرض مسرحية (الجنزير) فى باريس على أن تأتى له إدارة المسرح كل ليلة بسلطانية أرز باللبن وإلا فهو لن يظهر على المسرح.

وكانت مسرحية (الجنزير) قد ذاع سيطها حين عرضت فى موسم ١٩٩٥م – ١٩٩٦م على مسرح السلام بالقاهرة رغم توجس الإدارة المسرحية لفرقة المسرح الحديث مما يمكن أن يحدث للمسرح بسبب عرض (الجنزير) التى كانت أول مسرحية مصرية تعالج مشكلة الإرهاب الذى يرتكب باسم الإسلام، وقد نال نص المسرحية فى نفس ذلك العام جائزة (أفضل نص مسرحى) فى معرض القاهرة الدولى للكتاب الذى افتتحه رئيس الجمهورية.

وفى حفل الافتتاح قام الرئيس حسنى مبارك كعادته بمصافحة الفائزين بأفضل الكتب، وعندما جاء دور مصافحته لى استوقفنى الرئيس ليسألنى باهتمام واضح: إيه يا سلماوى اللى انت عامله فى (الجنزير) ده؟ ولم أعرف إن كان الرئيس يعبّر بذلك عن استنكار أم سعادة، لكن لحسن الحظ واصل حديثه على الفور بالقول: أنا سامع عنها كلام كويس قوى، فتنفست الصعداء وقد أيقنت مقصد الرئيس فقلت: يا ريت تشرفنا يا ريس وتشوف بنفسك أحنا عاملين إيه، فوعدنى الرئيس بأنه سيحضر ليشاهد العرض بنفسه.

وفى نفس الوقت كانت شهرة المسرحية قد وصلت إلى الخارج وكتبت عنها عدة مقالات فى الصحافة الأجنبية، وأثناء وجودى فى باريس اتفق معى أحد المتعهدين المصريين على عرض المسرحية هناك، وعدت إلى القاهرة لحضور العروض الأخيرة للمسرحية قبل أن ينتقل العرض إلى باريس.

وكانت قد مضت عدة أشهر على وعد الرئيس لى بحضور العرض فأدركت خلالها أنه ربما كان يجاملنى بقبوله دعوتى لمشاهدة المسرحية وأن مشاغله لابد حالت دون ذلك الوعد، إلى أن اتصل بى ذات يوم الصديق الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة ليقول لى: الرئيس طالب يشوف مسرحيتك! وشرح لى الوزير أن رئاسة الجمهورية أبلغته أن السلطان قابوس سيقوم بزيارة رسمية لمصر وأن الرئيس طلب أن توضع مسرحية (الجنزير) ضمن برنامج الزيارة حيث سيصحبه الرئيس بنفسه لحضور العرض، فقلت للوزير: يا لها من ورطة! لقد أنهى الممثلون العرض استعدادا للسفر إلى باريس وتم رفع ديكور المسرحية من على خشبة المسرح ليتم شحنه إلى باريس ووضع بدلاً منه على المسرح ديكور مسرحية أخرى سيبدأ عرضها قريبا، لكن الوزير وجد الحل بسرعة حيث اقترح تقديم العرض على مسرح آخر هو مسرح الجمهورية وقال: ستكون فرصة لكى يرى الرئيس مسرح الجمهورية بعد تجديده.

وفى اليوم المشهود حضر الرئيس مع ضيفه الكبير فى الاستراحة استقبلنا ليقدمنا للسلطان وقد داعب الرئيس عبد المنعم مدبولى قائلا: لقد أكلت كثيرا من الأرز باللبن فى المسرحية، فرد مدبولى بسرعة: إن نص الأستاذ سلماوى لم يكن به إلا سلطانية واحدة من الأرز باللبن وأنا الذى أضفت بقية (السلاطين)، وكان مدبولى – رحمه الله – يشير بذلك بخفة دمه المعهودة إلى كثرة ترديده خلال العرض لجملة وردت بالنص يطلب فيها مدبولى الذى كان يقوم بدور رجل عجوز مقعد، أن يحضروا له سلطانية أرز باللبن والتى كنت

دائما أطلب منه الاقتصاد فيها، لكنى خشيت من حديثه عن السلطانية والسلاطين فى وجود ضيف الرئيس إلى أن أنقذ الرئيس الموقف بلباقة وهو يقول لمدبولى: الأستاذ سلماوى عنده حق لأن السلاطين أصبحوا عملة نادرة فى عالمنا اليوم.

كان هذا هو آخر عرض للمسرحية فى مصر وبعد حوالى أسبوعين كنا قد وصلنا جميعا إلى باريس، وفى ليلة الافتتاح كان المسرح مكتظا بالجمهور من العرب والفرنسيين حيث تم عمل ترجمة فرنسية لحوار المسرحية ليعرض على شاشة خاصة أعلى خشبة المسرح، لكنى فوجئت بالمتعهد المصرى يهرع إلىّ ويقاطع حديثا كان يدور بينى وبين عمدة باريس ليقول لى إن عبد المنعم مدبولى يرفض الصعود إلى خشبة المسرح إلا إذا أحضرنا له سلطانية أرز باللبن، وقال المتعهد إنه لا يعرف أحدا يصنع الأرز باللبن فى باريس، واستأذنت من العمدة ودخلت إلى كواليس المسرح أحاول إقناع مدبولى بالعدول عن رأيه معددا له أسماء الضيوف الذين ينتظرون رفع الستار من كبار الشخصيات ورجال الصحافة وغيرهم، ومحاولا إقناعه بالاكتفاء بالطبق الصغير الذى أعدته إدارة المسرح لهذا الغرض، لكنه كان يقول: موش حاندمج فى الدور إلا لو كان فيه رز باللبن حقيقى، فقلت له: إذن بوصفى مؤلف العرض فقد حذفت موضوع الأرز باللبن تماما من النص، لن تكون هناك أية إشارة فى العرض للأرز باللبن، وأدرك مدبولى أننى غضبت فتراجع فى براءة الأطفال وهو يقول: عايز تحذفه إنت حر، لكن خلى بالك إن الأرز باللبن موجود فى النص بقرار جمهورى، ألم يذكره الرئيس شخصيا؟ وانفجرنا جميعا فى الضحك وصعد مدبولى إلى المسرح.

❑❑❑

روبير سوليه:
أنا ضمير جريدة (لوموند)!

الروائى الفرنسى الكبير روبير سوليه ذو الأصول المصرية له وظيفة فى جريدة «لوموند» قد تبدو غريبة علينا فى مصر وهى ما يعرف باسم Ombudsman وتلك كلمة سويدية الأصل تدل على وظيفة من يحقق فى شكاوى المواطنين ضد بعض المؤسسات العامة، وقد انتقل هذا التعبير إلى الصحافة فى كثير من دول العالم فأصبح يطلق على وظيفة جديدة فى الصحف هى من يعبر عن الانتقادات التى يوجهها القراء للجريدة سواء من الناحية المهنية أو السياسية والاجتماعية.

ولد روبير سوليه فى القاهرة عام ١٩٤٦م وتلقى تعليم الثانوى بمدارس «الليسيه» الفرنسية ومدرسة «الجيزويت» قبل أن ينتقل إلى فرنسا فى سن الـ ١٨ ليدرس الصحافة بجامعة «ليل» ثم يلتحق بعد تخرجه بجريدة «لوموند» التى عمل مراسلا لها فى كل من روما وواشنطن.

وقد تدرج سوليه فى وظائفه الصحفية داخل الجريدة الفرنسية العريقة إلى أن وصل إلى موقع رئيس التحرير ثم المدير المناوب للجريدة، لكن اسمه برز على الساحة الأدبية خلال سنوات عمله بوصفه أحد الكتاب الروائيين المرموقين فى فرنسا والذى ترجمت أعماله إلى ١٢ لغة من بينها العربية.

وتتميز أعمال سوليه الروائية بأن موضوعاتها كلها مستوحاة من التاريخ المصرى القديم، سواء فى المرحلة الفرعونية أو المملوكية، فله مثلا رواية اسمها «الطربوش» (١٩٩٢م) وأخرى بعنوان «فنار الإسكندرية» (١٩٩٤م) و«المملوكة» (١٩٩٦م) و«مزاج» (٢٠٠٠م)، كما أن له كتبا أخرى غير روائية تدور هى الأخرى عن مصر البلد الذى ولد به وعاش به صباه، ومن بين هذه الكتب كتاب مهم عن علاقة فرنسا بمصر أسماه «مصر.. ولع فرنسا» (١٩٩٧م) وكتاب آخر بعنوان «علماء بونابرت» (١٩٩٨م) أما فى عام ٢٠٠١م فقد أصدر سوليه كتابا جميلا حقا أسماه «قاموس عشاق مصر»، ومازلت أذكر حين أهدانى هذا الكتاب كيف استوقفنى كلمة «معلش» فى القاموس والذى أوجد لها سوليه أكثر من عشرة معانى مختلفة من خلال

استخدامات المصريين لها ابتداء من المعنى المعروف والذى يفيد التساهل والتسامح فى بعض المواقف إلى المعنى العكسى الذى يفيد الاحتجاج والرفض كأن يقال: «لا معلش بقى...»، وهى يتخذ من ذلك دلالة على عبقرية الاستخدام الدارج للغة الذى تتنوع معانيه ودلالاته حسب طريقة التعبير وسياق الكلمة فى الجملة لدى المصريين.

وقد كان آخر ما قرأت لسوليه كتابه الشائق «الرحلة الكبيرة للمسلة» الذى صدر منذ بضع سنوات والذى يحوى تفاصيل الرحلة المثيرة التى قطعتها المسلة القائمة الآن فى أكبر ميادين باريس وهو ميدان «الكونكورد» من مدينة الأقصر بصعيد مصر إلى عاصمة النور بقلب أوربا، والذى تتحول فيه هذه المسلة الحجرية بطلة الكتاب إلى شخصية درامية تستحوذ على اهتمام القارئ بما تتعرض له من أحداث خلال تلك الرحلة.

ولقد عرفت روبير سوليه عن قرب منذ سنوات من خلال سفرياتى إلى فرنسا وسفرياته هو إلى القاهرة، وكانت الصفة المزدوجة لكل منا كأديب وصحفى فى آن واحد من الأشياء التى قربت بين اهتماماتنا المشتركة وقد توقفت كثيرا أمام وظيفته الحالية فى جريدة «لوموند» والتى هى بمثابة ضمير الجريدة. فسألته ذات يوم ونحن جلوس فى مكتبه بالمبنى الأنيق لأكثر الصحف الفرنسية عراقة: هل تعتبر نفسك ممثلا عن القراء الذين يأتمنونك على آرائهم حول أداء «لوموند» ومواقفها، أم مدافعا عن الجريدة التى تعمل بها وتتقاضى منها مرتبك؟ فقال: أحاول بقدر الإمكان أن أعبر عن رأى القراء، وكثيرا ما أكتب مقالا بقلمى فى العدد الأسبوعى للجريدة أحاول أن أعبر فيه عن الاتجاهات العامة لرأى القراء فى شتى الموضوعات التى تشغلهم فى الجريدة، لكنى فى بعض الأحيان أجد نفسى مضطرا لتوضيح موقف الجريدة حين يكون ذلك غائبا عن القراء، فأنا لى الحرية الكاملة فى مهمتى هذه وما أكتبه هى المادة التحريرية الوحيدة التى لا تمر على رئاسة تحرير الجريدة ولا تراجع مثل بقية مواد الجريدة، ولولا ذلك لفقد القراء ثقتهم فى، لأن دورى فى حقيقة الأمر تشجيع الحوار الموضوعى بين الجريدة وقرائها بما يجعل الجريدة أكثر تعبيرا عن الرأى العام وأقرب إلى ما يتوقعه منها القراء من الناحية المهنية.

وقد استوقفتنى إحدى مقالات سوليه التى كتبها منتقدا طريقة تعامل الجريدة مع ما يأتيها من تصويب لبعض ما تنشره. حيث وصف فى إحدى مقالاته هذه الطريقة بأنها تتسم فى بعض الأحيان بعدم الصدق وحث الجريدة – وفق رأى القراء– على عدم التعليق على الردود التى تصلها وعلى ترك المجال كاملا للتصويب دون تدخل من رئيس التحرير.

وقد سألت سوليه عن هذا الموضوع الذى كان قد نشر فى بداية عام ٢٠٠٠م، فقال لى: لقـد كان هذا من أكثر حملاتنا نجاحا، حيث أتى بأثر مباشـر لـدى التحرير. فمنذ ذلك الوقت أصبحت السياسة التحريرية الثابتة للجريدة تقضى بعدم التعرض بالتعليق أو «اللف والدوران» حول أى ردود تصل الجريدة، وإنما يترك المجال للرأى الآخر كاملا.

ولم أسـتطع أن أرثى لحال الصحافة التى لا تفسـح المجال للحوار بين الرأى والرأى الآخـر. بل تنحاز إلى أحدهما، وحين يجيئها الرد على ما قد تكون نشـرته من مغالطات تتخـذ منه فرصة لعمل المزيد من المغالطات لخدمة الـرأى الواحد الذى تنحاز إليه، فهل تستحق هذه الصحافة احترام القراء، أم تستحقها الصحافة التى تختار كاتبا مرموقا تصرف له راتبا شهريا كبيرا كى يكون ضمير الجريدة الذى يضمن حيادها وتعاملها الأخلاقى مع آراء قرائها؟!

❑❑❑

حاكم الشارقة:
كنت مجندا احتياطيا عام ١٩٦٧م

الشـيخ سـلطان بن محمد القاسمى حاكم إمارة الشـارقة. حاكم مـن نوعية نادرة فى الوطـن العربـى، فهو من أشـد المؤمنين بالثقافة ودورها فى المجتمـع، وقد كان دائما من أشـد الداعمين للنشـاط الثقافى، وليس هذا بغريب لمن يعرف الشيخ سلطان، فهو صاحب المؤلفـات السياسـية فى العولمة وصـراع الحضارات مثلما هو أديب مقتدر له المسـرحيات والأعمال الروائية، لأنه باختصار حاكم مثقف.

الأستاذ / محمد سلماوى أثناء تكريمه لحاكم الشارقة فى اتحاد كتاب مصر

حين اسـتضاف معرض فرانكفورت الدولى للكتاب العالم العربى كضيف شرف فى عام ٢٠٠٤م قامت إمارة الشارقة بتوجيه من حاكمها الشيخ سلطان بن محمد القاسمى بترجمة ٨٦ كتابـا عربيا حتى تكـون فى متناول جمهور المعرض، وبعـد أن انتهى المعرض أصدر الشيخ سلطان أمرا بمواصلة المشروع كى يصل عدد الكتب المترجمة إلى مائة كتاب، فكانت تلك إضافة مهمة إلى جهود نشـر الثقافة العربيـة والفكر على العالم فى وقت يتهم العرب والمسلمون بأنهم بلا حضارة وأن دينهم هو دين عنف.

وقد استوقفنى موقف حاكم الشارقة منذ ذلك الوقت، وحين قابلته بعد ذلك فى يناير ٢٠٠٦م أثناء اجتماعات الاتحاد العام للأدباء والكُتاب العرب فى الشارقة ازداد إعجابى به كمدافع عن الثقافة وعن دورها القيادى فى المجتمع، وعن اللغة العربية التى حث الاتحاد العام للأدباء والكُتاب العرب على الاهتمام بها، وقد أعجبنى وصفه للعربية بأنها هى اللغة التى نقلت العلم والثقافة إلى الغرب فأتت بعصر النهضة الأوربية فى القرن الـ ١٦، ثم قال إن إسرائيل قد أحيت لغة كانت ميتة، ونحن للأسف نهمل لغتنا وكأننا نريد قتلها، بينما اللغة هى رمز الهوية والشخصية المميزة للعرب جميعا.

وربما كان أكثر ما يميز الشيخ سلطان بن محمد القاسمى صراحته المطلقة، فهو يسمى الأشياء بأسمائها، فهو يبدى أسفه على أن الدول العربية لا تغدق على الثقافة ما تستحقه من دعم، وهو يرى أن هناك على سبيل المثال قصورا فى جميع الدول العربية فى مجال الاهتمام بالثقافة وتأكيد مكانتها فى المجتمع، تلك المكانة التى تسمح بتطور المجتمع العربى وارتقائه، وقال إن الأموال التى تخصص فى الدول العربية لا تكاد تذكر.

ثم قال: إن الزعيم الفرنسى الراحل شارل ديجول جعل من الكاتب اللامع آندريه مالرو وزيرا لثقافته وكان يجلس دائما إلى جانبه، وقال الشيخ سلطان: ونحن نأمل من حكام الوطن العربى أن يجلسوا المثقفين إلى جوارهم. ولقد تحدثت إلى الشيخ سلطان عن أحوال الكُتاب فى مصر فوجدت لديه اهتماما كبيرا يرجع لفترة دراسته بكلية الزراعة فى جامعة القاهرة، وقد تحدث إلىّ بحنين كبير عن تلك الأيام التى مازالت ذكراها محفورة فى ذاكرته كلما تحدث عنها فاضت كلماته عاطفة وحبا.

وحين علم الشيخ سلطان بمشروع الاتحاد العام للأدباء والكُتاب العرب بترجمة ١٠٥ روايات عربية من مختلف الأقطار الشقيقة تحمس للمشروع واستمع طويلا لتفاصيله. فعرف أننا اخترنا أن نبدأ باللغات التى ليس معتادا الترجمة إليها مثل اللغات الأوربية واللغة الروسية والصينية، وعرف أن الكتب الصينية صدر منها بالفعل ١٤ رواية، وأن أعدادها نفدت بالكامل، وأن الاتحاد العام للأدباء والكُتاب العرب بصدد الاتفاق الآن على طبعة جديدة، كما عرف أيضا أن الكتب المترجمة إلى الروسية قد تمت ترجمة ١٨ منها حتى الآن وأننا بصدد الاتفاق على نشرها، وإزاء ذلك. فقد بادر الشيخ سلطان بالتبرع بمبلغ مائة ألف دولار لاستكمال ذلك المشروع الذى وصفه بأنه حيوى للغاية.

ولقد تابعت الاتصال بحاكم الشـارقة بريديا وهاتفيا إلى أن تم بالفعل تحويل المبلغ إلى حسـاب الاتحاد العام فى القاهرة وفى أول اتصال لى بالشيخ سلطان بعد ذلك شكرته باسم جميع الأدباء العرب، وقلت له: أما بالنسـبة لأدباء مصر فأرجو أن يكون لنا حديث آخر عن أحوالهم. فقال لى بالحرف الواحد: أدباء مصر فى القلب ولا يمكن أن أنساهم.

ومرت بضعة شـهور وإذا بالشـيخ سلطان يرسل لى الصديق الكاتب جمعة اللامى من الإمارات ليحمل إلىّ بشـرى سـعيدة، كنا نحتفل فى اتحاد كُتاب مصر بيوم الكاتب، وجاءنى الأسـتاذ جمعة مهنئا، ثم رن جرس هاتفـه المحمول وهو فى مكتبى وأخبرنى أن الشـيخ سـلطان على الجانب الآخر يطلب منه أن يوصل لنا هديته لكُتاب مصر فى يوم الكاتب.

قال لى الصديق جمعة اللامى إن الشيخ يبلغنى أنه مازال عند كلمته لى عن كُتاب مصر وأنه ينتهز مناسـبة احتفالنا بيوم الكاتـب. ليخبرنا أنه قرر التكفل بالضمان الصحى لكل أديب مصرى يتعرض للمرض ويحتاج العلاج.

وكانت هدية الشيخ سلطان وفاء لكلمة قالها لى أكثر مما كنت أتوقع، لكن هذا هو شأن حاكم الشارقة لمن يعرفه، والكرم الذى لا يضاهيه كرم والعروبة الأصيلة والنبل العظيم.

وحين اتصلت بالشـيخ سـلطان فى اليوم التالى للاحتفال لأشـكره علـى هديته القيمة أكد لى سمـوه مـرة أخرى أنه مصرى وأخبرنى بما لا يعرفـه الكثيرون وهو أنه أثناء وجوده فـى مصـر كان مجندا احتياطيا فى حرب ١٩٦٧م، وقال لى: إن سـنوات إقامته فى مصر لا تعوض.

وقد عرضت على سمو الشـيخ الحاكم أن نسـتضيفه فى اتحاد الكُتاب بمصر لكى يعلن بنفسـه فى لقاء موسـع مع كُتاب مصر أعضاء الاتحاد ما انتهينـا إليه من تفاصيل لإقامة صندوق للرعاية الصحية للكتاب المصريين، وفى هذا اللقاء المرتقب والذى سيكون فى شهر يناير ٢٠٠٨م سـيقوم الاتحاد بمنح الشيخ السلطان العضوية الشرفية فى اتحاد كُتاب مصر ليس فقط اعترافا بدوره فى رعاية الكُتاب، وإنما أيضا لكونه كاتبا وأديبا مميزا.

❑❑❑

أورهان باموك:
محفوظ فتح أمامنا الطريق لنوبل!

زار كاتب تركيا الكبير أورهان باموك مصر بدعوة من معرض الكتاب فمكث بها بضعة أيام وسعدت أن التقيت به خلالها عدة مرات، مرة على الغداء وأخرى على العشاء، كما أدرت اللقاء الذى عقده مع جمهور المعرض ولقاءه الخاص مع بعض الزملاء الصحفيين، وعلى مائدة الغداء كان مكانى على يمينه مباشرة فدار بيننا هذا الحديث.

كان أول ما سألته لأورهان باموك: لقد كنت كاتبا معروفا دوليا قبل فوزك بنوبل وترجمت أعمالك إلى أكثر من ٤٠ لغة فماذا أضافت لك نوبل؟

قال ضاحكا: أضافت إلى ٥ لغات، فقد كانت كتبى مترجمة إلى ٤٦ لغة فأصبحت الآن مترجمة إلى ٥١ لغة.

اورهان باموك فى حديث ضاحك مع محمد سلماوى

وقد لا يعرف البعض أن الاسم الحقيقى لأورهان باموك هو فريد وهو اسم يعتز به لكنه عـرف باسمه الثانى وهو أورهان، أما باموك فهو اسـم عائلتـه، وقد ولد فريد أورهان فى عائلة متيسرة الحال وكان والده مهندسا وكذلك جده، لذلك توقعت عائلته أن يصبح فريد أورهان مهندسا هو الآخر، لكن ميول الصبى الصغير كانت كلها فنية وقد بدأ يتجه منذ سن السـابعة إلى الرسـم وكان يتطلع إلى أن يصبح فنانا تشكيليا لكن عائلته لم تقبل بذلك وإزاء إصرار الصبى على الاتجاه إلى الفن توصلت العائلة مع الصبى إلى حل وسـط وهو أن يدرس المعمار بدلا من الهندسة فيشبع ميوله الفنية ويلبى فى نفس الوقت رغبة أسرته فى أن يكون مهندسا وإن كان مهندسا معماريا.

لكن ما أن وصل فريد أورهان إلى سـن الـ ٢٢ حتى وجد نفسـه قد اتجه للكتابة، وكان قد وصل إلى درجة من النضج الشخصى الذى أدرك معه أن اختياره هذا اختيار جاد وليس نزوة طارئة، فترك دراسـة المعمار بعد أن وصل فى دراسـته إلى السنة الثالثة واتجه بشكل نهائى إلى الكتابة.

ويقول أورهان باموك إنى أمضى اليوم ما بين ٨ أو ١٠ سـاعات يوميا فى الكتابة حتى أصبحـت المنضدة التى أكتب عليها جزءا من جسـدى والقلـم امتداد لإصبعى، وأنا كاتب بطىء لكنى مثابر، فأنا أكتب بالقلم وليس بالكمبيوتر وأشطب وأعيد الكتابة على الطريقة القديمة فأمزق الورقة لأكتبها مرة أخرى وهكذا.

قلـت لباموك: أول كتبك كان اسمه (الكتاب الأسـود) وأشـهر رواياتك تحمل عنوان (اسمى أحمر) ولك رواية جميلة اسمها (القلعة البيضاء) فهل مازال الفنان التشكيلى المغرم بالألوان يعيش فى داخلك؟

قال : لعلمك لقد جمعت بعض مقالاتى وستظهر قريبا فى كتاب بعنوان (ألوان أخرى)، فأنـا فـى الحقيقة كاتب بصـرى Visual Writer أى أننى أرى الأشـياء قبل كتابتها، وما أكتبه هو وصف بالكلمات للمشـاهد التى أتخيلها، فلا تنس أننى مارست بالفعل الفن التشكيلى من سن الـ ٧ وحتى الـ ٢٢ .

قلت: هل مازال لديك بعض ما رسمت من لوحات؟

قال: للأسف لا ، فحين كان يعجب أحد أصدقائى بلوحة من لوحاتى كنت أسعد بذلك وأقدمها له، واليوم لم يبق لدى أى من هذه اللوحات.

ثم يضيف ضاحكا: ربما كان هذا هو السبب الذى جعلنى أحول رواياتى إلى لوحات ذات ألوان محددة.

قلت: هل كنت تتوقع فوزك بجائزة نوبل؟

قال: لقد كان الصحفيون دائما يسألوننى كلما حل موعد إعلان جوائز نوبل فى شهر أكتوبر من كل عام : هل ستفوز هذا العام بنوبل؟

لذلك فالجائزة أصبحت جزءا من حياتى من قبل أن أحصل عليها، ولقد كان هذا السؤال المتكرر يصيبنى بالسأم حتى إننى كنت أحاول أن أتحاشى مقابلة الصحفيين طوال شهر أكتوبر، لكن السؤال كان يلاحقنى فى بقية الأشهر أيضا، والحقيقة أن أحد أسباب سعادتى بالجائزة هو أننى لن اضطر بعد الآن للإجابة عن ذلك السؤال المتكرر، لكن دعنى أقل لك أن نوبل كانت لمدة ما يقرب من قرن كامل من الزمان بعيدة عن منالنا في الشرق إلى أن فاز بها نجيب محفوظ، ومازلت أذكر جيدا شتاء عام ١٩٨٨م حين أُعلن فوزه بالجائزة، عندئذ شعرت لأول مرة أن محفوظ قربنا جميعا من الجائزة، لقد غمرتنى سعادة فياضة أن وجدت كاتبا مسلما يفوز لأول مرة بنوبل، وربما كان هذا هو ما جعل من الطبيعى أن يسألنى الناس: متى ستفوز بنوبل.

قلت : لكن فى الحالتين كان مجتمع محفوظ ومجتمعك الإسلاميان هما اللذين استكثرا عليكما الجائزة فأرجعاها لأسباب سياسية وكأنكما لا تستحقانها لأدبكما.

قال: هذا شىء مؤسف حقا، ولقد دهشت جدا حين بدأ الناس عندكم يقولون إن نجيب محفوظ لم يفز بالجائزة إلا لأنه كان من أنصار السلام أو لأنه كتب رواية (أولاد حارتنا)، بينما وجد العالم كله فى أدبه ما يستحق الفوز بالجائزة، ثم وجدت أن نفس الشىء قد حدث معى أيضا وأصبح البعض يقول إننى فزت بها لأنى دافعت عن الأرمن الذين قتلوا فى تركيا أثناء الحرب العالمية الأخيرة، أو لأننى أدافع عن قضية الأكراد، لكن تلك كلها أحقاد داخلية تأتى للأسف من بعض زملاء المهنة الذين كانوا يتمنون الفوز بالجائزة.

ثم يستطرد قائلا: لقد وصل الحد بالبعض أن قالوا إن منحى الجائزة كان ضربة موجهة إلى تركيا لأننى قدمت للمحاكمة بتهمة إهانة تركيا بالحديث عن مأساة الأرمن، وتلك مغالطة تاريخية لأن هذه التهمة كانت قد أسقطت من قبل أن أفوز بالجائزة.

قلت: قيل أيضا إنك فزت بها لأنك من أنصار انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربى، فما هو موقفك الآن وقد بدا أن الدول الأوربية نفسها لا تريد ذلك؟

قال: إن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربى كان سيفيد الجانبين فائدة كبيرة جدا، ففى الوقت الذى ستحصل فيه تركيا على مساعدات كبيرة كتلك التى حصلت عليها دول أوروبا الشرقية حين انضمت إلى الاتحاد فإن أوربا ستستفيد هى الأخرى من وجود دولة مسلمة بين أعضائها فذلك سيزيد من تنوعها الثقافى وسيثرى نظرتها الإنسانية للجاليات التى تعيش داخل حدودها.

لكن للأسف إنه حدثت مواجهات كثيرة جعلت الطرفين يفقدان حماسهما لهذا الانضمام، فالصوت الأعلى الآن داخل تركيا هو صوت المعسكر الرافض للانضمام إلى الاتحاد الأوربى.

قلت: هل تعتقد أن المسألة بذلك قد حسمت بشكل نهائى؟

قال: بالطبع لا فتركيا موجودة بالفعل داخل أوربا، وإن قريبا أو بعيدا ستعود تركيا تفكر فى الانضمام إلى الاتحاد الأوربى وستكون أوربا قد تخلصت من بعض تحيزاتها، وعندئذ سنعود للحديث مرة أخرى عن إمكانية ضم تركيا للاتحاد، فالعالم بحاجة إلى وجود مثل هذه العلاقة الصحية بين الجانبين وانضمام تركيا للاتحاد الأوربى سيكون له تأثير بعيد المدى على العلاقة بين الشرق والغرب فى العالم أجمع.

❑❑❑

آلان إيكبورن:
بعد شكسبير مباشرة!

هــو غير معروف فى مصر خارج دائرة المتابعين للمســرح البريطانى، لكنه فى بريطانيا يعتبر أكبر كاتب مســرحى فى الوقت الحالى حيث يأتى عدد مسرحياته التى تعرض على مسارح لندن كل سنة بعد مسرحيات شكسبير مباشرة وقبل كل الكتاب المعاصرين بما فيهم الأمريكى الكبير آرثر ميللر الذى تحتل مســرحياته مكانا خاصا على المســارح البريطانية، كما تأتى مسرحياته أيضا قبل العروض المعدة عن روايات تشارلز ديكنز والتى عادة ما تحقق نجاحا جماهيريا كبيرا.. إنه الكاتب المسرحى آلان إيكبورن.

التقيــت بآلان إيكبورن خلال إحدى زياراتــى للندن عام م١٩٩٠، وقد تفضل المجلس البريطانــى بترتيب اللقاء مع الكاتب الكبير فى أحد مســارح الحــى الغربى بلندن حيث كانت تجرى الاســتعدادات لتقديم إحدى مســرحيات إيكبورن الجديدة، لكن الحوار امتد فيما بيننا فدعانى إيكبورن إلى شقته المطلة على نهر (التيمز) بمنطقة (وابنج).

كنت قد شــاهدت عددا كبيرا من مســرحيات إيكبورن خلال زياراتــى المتعددة للندن والتــى كان من أشــهرها (غزو نورمانــدى) وهى ثلاثية من ثلاث مســرحيات، (الغرفتان المتصلتان) و(رجل اللحظة) و(سيدة فى البال) و(جوقة الرفض) و(كوميديا المنتقم) و(ثلاث ســيدات طويلات)، وغيرها، وفى حديــث مع الصديق مايكل بلنجتون الناقد المســرحى لجريــدة (الجارديــان) البريطانية تطرق حديثنا حول المســرح البريطانى إلى آلان إيكبورن فقلت له إننى لا أتمكن من مشــاهدة كل عروض إيكبورن المســرحية لأنى لا آتى إلى لندن إلا فى زيارات منقطعة، فرد علىّ بسرعة قائلا: وحتى لو كنت تقيم فى لندن إقامة دائمة ما استطعت أن تلاحق على مشاهدة جميع عروضه المسرحية.

وفــى الوقــت الذى يرى جون أوزبــورن كاتب أحد أهم الأعمال فى المســرح البريطانى الحديث وهى (أنظر وراءك فى غضب) أن مسرح آلان إيكبورن مسرح تجارى يمينى النزعة، فإن ما يكل بلنجتون يعتبره أفضل مؤلف كوميدى فى المسرح العالمى منذ موليير.

استقبلتنا فى المنزل الممثلة هيثر ستونى رفيقة إيكبورن منذ حوالى ٢٠ عاما، فهو منفصل عن زوجته التى أنجب منها طفلين تعدى الآن كل منهما المقعد الخامس من عمره، وقد كانت هيثر، التى تركت التمثيل لتتفرغ لزوجها، حريصة على أن تؤكد لى أن هناك علاقة صداقة قائمة بين الجميع بما فى ذلك زوجة إيكبورن والتى لم يطلقها رغم انفصالهما.

أما آلان إيكبورن فقد روى لى أنه شهد طلاق والديه وهو فى سن السابعة، فقد ولد فى هامستير عام ١٩٣٩م وكان الطفل الوحيد لعازف الكمان الأول فى أوركسترا لندن السيمفونى، أما والدته فكانت كاتبة بإحدى المجلات النسائية، وقد طلقت من والده لتتزوج من مدير أحد البنوك وهو يقول إنه عانى كثيرا فى طفولته من هذا الموضع لكنه مع ذلك لم يستطع أن يتفاداه فى حياته بعد ذلك.

أما أول معرفة لإيكبورن بالمسرح فيقول إنها كانت فى سن الـ ١٧ حيث عمل مساعدا لمدير المسرح فى فرقة دونالد ولفيت، وكان ذلك بالنسبة له فاتحة على عالم كامل استحوذ على كل اهتمامه وصار بعد ذلك هو الطريق الذى اختاره لنفسه فى الحياة.

يقول إيكبورن: إن المسرح بالنسبة لى هو الحياة بكاملها، فكل ما يحدث فى الحياة يكتسب أهميته بالنسبة لى حين يدخل النسيج المسرحى، سواء بالنسبة لى أو لغيرى، فالمسرح فى جانب منه هو ديوان الحياة بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية والعاطفية والثقافية، ثم يقول: إن معرفتنا مثلا عن الحياة فى أثينا القديمة أو فى عصر شكسبير كانت ستظل ناقصة كثيرا لو لم يكن هناك مسرح رصدها وحافظ على حيويتها كما تحفظ السينما الآن حياتنا المعاصرة.

ويحتسى إيكبورن بعض الشراب الذى قدمته لنا هيثر ثم يضيف: لكن لا تدعنا نتمادى كثيرا فى هذا الجانب لأن المسرح قيمته الحقيقية تتعدى كونه مرآة للحياة، لأنه فى الحقيقة يعيد صنع الحياة أيضا بما له من تأثير على وجدان الناس وعلى أحاسيسها.

ثم انتقل الحديث إلى المسرح فى مصر وأبدى إيكبورن اهتماما كبيرا بالسؤال حول وضع المسرح المصرى والعربى فى الوقت الحالى، وقد اكتشفت أنه لا يعرف أيا من الأسماء المسرحية الكبيرة – أو الصغيرة – إلا توفيق الحكيم الذى عرف اسمه لكنه لم يقرأ له.

ولقد بدأت مواهب إيكبورن فى الكتابة تتضح منذ عين مديرا فنيا بمسرح ستيفن جوزيف الدائرى بمدينة سكاربورو الساحلية التى تقع على بحر الشمال فى مقاطعة

يوركشـــير، حيث بدأ إيكبورن يكتب المســـرحيات التى نالت إقبالا كبيرا وحققت للمسرح دخلا غير معتاد، ومن هناك انتقلت مســـرحياته إلى لندن فتأكدت شـــهرته بين كبار كتاب المسرح المعاصرين.

ويقول إيكبورن: إننى لا أنسى أبدا أن بدايتى كانت فى سكاربورو ولذلك فقد التزمت بينى وبين نفســـى أن تعرض مســـرحياتى أولا فى ســـكاربورو ثم بعد ذلك تنتقل إلى لندن، والحقيقة أن ذلك يفيد المسرحيات كثيرا، ففى بعض الأحيان أقوم بإجراء بعض التعديلات عليها من خلال تفاعلها مع الجمهور فى سكاربورو فتصل إلى لندن أكثر اكتمالا.

وربما كان أهم ما يميز مسرحيات إيكبورن جدتها الفنية، ففى مسرحية (ضمير المتكلم العبثى) على سبيل المثال تقع أحداث المسرحية فى ثلاثة مطابخ مختلفة وقت عيد الميلاد المجيد على مدى ثلاث ســـنوات متعاقبة، بينما مسرحية (هزلية غرفة النوم) تقدم أحداثا تقع فى غرفتى نوم فى نفس الوقت، ومسرحية (أعالى النهر) تستلزم وجود مركب حقيقى على مسرح مغمور بالمياه.

ومهمـــا اختلـــف النقاد فـــى تقييم مســـرح آلان إيكبورن فإنه يظل أكثـــر الكتاب غزارة فى الإنتاج، وتظل عروضه المســـرحية أكثر العـــروض نجاحا مع الجماهير وأكثرها تحقيقا للدخل، وهو ما يجعلها أيضا من أكثر المسرحيات التى يتم اقتباسها للدراما التليفزيونية، ولقد حصل إيكبورن على العديد من الجوائز والتى كان من بينها لقب (سير) الذى منحته إياه ملكة بريطانيا عام ١٩٩٧م.

❑❑❑

إدوارد سعيد:
يجب أن ندعم دعاة السلام!

كانت آخر مقابلة لى مع إدوارد سعيد المفكر الفلسطينى الكبير المقدسى المولد الأمريكى الجنسية الذى قضى طفولته فى مصر فى منزل صديقنا المشترك المفكر المصرى الراحل محمد سيد أحمد.. كان إدوارد سعيد فى زيارة قصيرة إلى مصر وكان للزيارة هدف واحد هو إقناع الجانب المصرى باستضافة فرقة سيمفونية كان قد كونها صديقه الموسيقى الإسرائيلى العالمى دانييل بارنبويم من عازفين شباب من إسرائيل والدول العربية كمثال للتعايش السلمى بين العرب وإسرائيل، وهو ما نال ضيق الحكومات الإسرائيلية والعربية معا.

لم أكن قد قابلت إدوارد سعيد منذ بضع سنوات وكان المرض قد اشتد عليه، فأضاف سنين جديدة لملامح وجهه فى الوقت الذى بدأ جسده أقل وزنا مما زاد من طوله الفارع، لكن رغم علامات سنى العمر وسنى المرض (السرطان اللعين) كان مليئا بالحماس وهو يتحدث إلى الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس مبارك فى ذلك الوقت عن أهمية هذا الأوركسترا الذى عزف فى الكثير من العواصم العالمية، وأهمية أن يعزف فى القاهرة بالذات.

وكانت هناك صداقة قوية تجمع بين إدوارد سعيد ودانييل بارنبويم الذى يعتبر من كبار دعاة السلام فى إسرائيل وهو فى حالة عداء مستحكم مع الدولة الإسرائيلية التى كثيرا ما اتهمته بالإساءة إلى إسرائيل فى الخارج وبالاتصال المتكرر بالعدو – أى بالفلسطينيين – وهى نفس التهم التى وجهت للنائب العربى فى الكنيست عزمى بشارة وكاد يسحب منه جواز سفره الإسرائيلى بسببها.

ولقد قام بارنبويم – وهو مولود فى الأرجنتين – بتجميع عازفين من بعض الدول العربية مع زملاء لهم من إسرائيل ليكسر فكرة أن العرب والفلسطينيين شياطين ينبغى القضاء عليهم لأنهم يسعون إلى تدمير إسرائيل، ففى أوركسترا بارنبويم تعاون العازفون الشبان من الجانبين فى توافق يضارع توافق الأنغام التى يعزفونها، وكان من بين العازفين العرب شباب من فلسطين والأردن وسوريا ومصر ولبنان.

ومن المعروف أن إدوارد سعيد كان عاشقا للموسيقى وكان عازفا بارعا لآلة البيانو هو الآخر تماما مثل دانييل بارنبويم، لكنه اختار لنفسه طريقا آخر غير الموسيقى وهو البحث والدراسة الفكرية، ولقد شارك إدوارد سعيد أكثر من مرة بالعزف مع بارنبويم فى حفلات خيرية رمزا إلى أن محبى السلام على الجانبين على وفاق وأن دعاة الحرب والتدمير والإبادة على الجانبين هم سبب الأزمة.

وقد أراد إدوارد سعيد أن يظهر الجانب العربى أمام العالم ليس بوصفه الساعى لتدمير إسرائيل، وإنما الساعى للسلام الذى ترفضه دولة الاحتلال والتدمير الإسرائيلية وكان يرى أن استضافة مصر لأوركسترا.. السلام السيمفونى كما كان اسمه سيحظى باهتمام دولى كبير لما يتمتع به بارنبويم من شهرة دولية.

كنا فى ركن من قاعة الاستقبال فى منزل الصديق محمد سيد أحمد انشغل عنها بقية المدعوين بأحاديث أخرى متفرقة. وكان إدوارد سعيد فى حديثه إلى الدكتور أسامة الباز كثيرا ما يستشهد بى قائلا: إن محمد سلماوى يعرف قدر دانييل بارنبويم فى عالم الموسيقى، وكنت أنا أؤكد كلامه قائلا إن بارنبويم هو بالفعل واحد من أكبر العازفين وقائدى الأوركسترا فى العالم الآن، لكنى كنت أضيف أن استضافته مع أوركسترا السلام هى قضية تدخل فى باب التطبيع وليس مجرد قضية موسيقية. وكان رأى إدوارد سعيد أن لكل شىء جانبه السياسى وأن براعة الآخرين تركزت دائما فى الاستثمار السياسى لكل القضايا الثقافية أو الفنية لتحقيق أغراضهم، وأننا أمامنا الآن قضية موسيقية لو أحسنا استخدامها سيكون لها مردود سياسى عالى القيمة، كما أنها ستدعم معسكر الداعين إلى السلام الذين لا ندعمهم بالقدر الكافى وكثيرا ما نضعهم فى نفس السلة مع الحكومة الإسرائيلية.

وفى الوقت الذى أخذت أنا جانب المناقشة للأفكار التى كانت إدوارد يطرحها بحماس منقطع النظير عجبت أن وجدت الدكتور أسامة الباز قد أخذ جانب المستمع فى بعض الأحيان وفى أحيان أخرى المستجوب، ليس بغرض النقاش وإنما بغرض الوصول إلى كل ما لدى إدوارد سعيد، وذلك دون أن يبدى موقفا محددا من القضية فكان كمن ينطبق عليه المثل العامى لمن يشترى ولا يبيع.

وهكذا رغم ملاحقة أسامة الباز لإدوارد سعيد بالأسئلة فإنه لم يعطه (عقاد نافع) كما يقولون وظن إدوارد سعيد أن الدكتور أسامة لا يعرف موقف دانييل بارنبويم فأخذ ينظر

إلى وهو يقول: أنت تعرف يا سلماوى أن بارنبويم له موقف قوى ضد السياسة الإسرائيلية وأنه يناضل معنا من أجل إقامة الدولة الفلسطينية.

فأكدت على كلامه وقلت إننى شاهدت بنفسى على التليفزيون كيف ألقى بارنبويم خطبة عصماء داخل الكنيست الإسرائيلى قال فيها: إن على الدولة الإسرائيلية أن تخجل من نفسها لما تقترفه فى حق الفلسطينيين، وكان ذلك أثناء تسلم جائزة ما.. وقلت إننى شاهدت وزيرة الثقافة الإسرائيلية، وقد نهضت من مكانها طالبة الكلمة لكى تطالب بسحب الجائزة من دانييل بارنبويم بسبب ما قاله ضد الدولة اليهودية.

لكنى حاولت فى نفس الوقت أن أنقل لإدوارد سعيد أن التطبيع عندنا فى مصر له معنى آخر، فنحن لا نرى ضررا من أن يتحالف الساعون للسلام من الفلسطينيين والإسرائيليين فى وجه دعاة الاحتلال والحرب، لكن مصر هى أكبر دولة عربية والتطبيع معها يجب أن يكون له شروط أخرى لأنه فى حالتها له ثمن آخر، وهو لذلك يجب أن يظل هو الجائزة الكبرى بعد تحقيق السلام الشامل مع العرب جميعا.

ثم أقبلت السيدة مايسة سيد أحمد مضيفتنا الفاضلة تدعونا إلى العشاء قائلة: إن هذه المناقشة الساخنة يمكن أن تنتظر لما بعد العشاء لأن العشاء لن يظل ساخنا حتى تصل المناقشة إلى نهايتها.

وتناولنا مع بقية الضيوف العشاء الساخن ثم الحلو البارد، لكن المناقشة لم تصل إلى نهايتها، والغرض من زيارة إدوارد سعيد إلى القاهرة لم يتحقق.

❑❑❑

بهيجة حافظ:
أنا صاحبة أول فيلم مصادر!

فى يوم ١٠ نوفمبر ١٩٦٨م نشـرت جريدة (الأهرام) خبرا صغيرا فى الصفحة الأخيرة بعنـوان (بهيجة حافظ تغنـى بالإنجليزية) وقد ورد فى الخبر أن (الفنانة القديمة بهيجة حافظ تغنى الليلة بالإنجليزية وتروى ذكرياتها مع السينما ٨,١٥ مساء من برنامج الإذاعة الأوربـى).. أمـا ما لم يهتم (الأهرام) بنشـره فى الخبر فهو أن هـذا البرنامج وكان اسمه (Close Up) أى لقطة من قريب كان من إعداد وتقديم أحد الشـباب المغمورين العاملين آنذاك بالبرنامج الأوربى للإذاعة والذى كان اسمه (محمد سلماوى).

كنـت فى ذلك الوقت أعمل معيدا بقسـم اللغة الانجليزيـة وآدابها بجامعة القاهرة وكنـت فى نفس الوقت أقدم بعض البرامج الثقافية فـى إذاعة البرنامج الأوربى والتى كنت أعدها بنفسـى، كما كنت مولعا بالسـينما لدرجة أننى التحقت بمعهد السـينما بالهرم بعد أن تقدمت لامتحان القبول وجاء ترتيبى الأول، ثم اكتشفت بعد السنة الأولى أن قراءاتى الخارجية باللغتين الانجليزية والفرنسـية تفيدنى أكثر من دراستى بالمعهد فتركته لكنى خرجت منه بصداقات كثيرة كان من بينها نور الشـريف وسـعيد الشيمى وعلى بدرخان وغيرهم.

فى ذلك الوقت تعرفت لأول مرة برائدة السـينما المصرية الفنانة الكبيرة بهيجة حافظ. حيث نشـأت بيننا صداقة قوية رغم فارق السـن الكبير فكنت أزورها بمنزلها رقم ٨ شارع قصر النيل كما دعوتها أكثر من مرة لمنزل العائلة فكانت تعزف على البيانو وتغنى بصوتها الأوبـرالى الرخيم، ومازالت أذكر أن إحدى هذه المرات كانت فى عيد ميلاد أسـتاذى فى ذلك الوقت الدكتور رشاد رشدى الذى أقمت له احتفالا خاصا بهذه المناسبة.

ومرت السـنون وتركت الجامعة والإذاعـة والتحقت بجريدة (الأهرام) فى الوقت الذى مـرت بهيجة حافظ بظروف صحية ومادية قاسـية، وفى خريف عـام ١٩٧٧م اتصل بى الدكتور رشاد رشدى الذى كان قد أصبح المستشار الثقافى للرئيس السادات ليطلب منى رقم تليفون بهيجة حافظ بعد أن قرر أن يكرمها رئيس الجمهورية فى عيد الفن بمنحها جائزة الجدارة التى كانت تتضمن معاشا قدره ألف جنيه سنويا مدى الحياة.

لكن بهيجة حافظ لم تحضر الاحتفال فقد كانت ترقد فى غرفة الإنعاش وحين توفيت بعد ذلك بخمس سنوات لم يدر بها أحد واكتشفت جثتها فى شقة شارع قصر النيل التى شهدت الصالونات الثقافية التى كانت تقيمها على مدى سنوات طويلة، وكان قد مضى على وفاتها عدة أيام.

كانت بهيجة (أو بيهيدجا) حافظ كما كانت تنطق اسمها باللكنة التركية هى ابنة إسماعيل باشا حافظ ناظر الخاصة الملكية فى عصر السلطان حسين كامل، والذى كان بعد ذلك وزيرا للمالية فى عصر الملك فؤاد. وقد تلقت بهيجة تعليما فرنسيا فى مدارس الفرانسيسكان والميردى ديو إلى أن سافرت إلى باريس لدراسة الموسيقى ثم لألمانيا لدراسة السينما، وقد عادت لتكون أول مخرجة فى مصر بل أول مخرجة فى العالم، حيث كان الإخراج من أعمال الرجال وحدهم.

قدمت بهيجة حافظ للسينما عدة أفلام صامتة بالإضافة لبعض الأفلام الناطقة، وأفلامها هى (زينب) و(ليلى البدوية) و(ليلى بنت الصحراء) و(الضحايا) و(الاتهام) و(زهرة) وقد أنفقت عليها أموالها كلها حيث أنتجت بعضها ومثلت بعضها وأخرجت وكتبت قصة وموسيقى معظمها.

وقد دخلت بهيجة حافظ معركة ضارية مع أسرتها من أجل السينما لكن الضربتين القاضيتين كانتا فى فيلمى (الضحايا) و(ليلى البدوية)، ففى الفيلم الأول وكان صامتا حدث أن دخل الصوت إلى السينما بعد الانتهاء من التصوير عام ١٩٣٢م فلم يحقق الفيلم الذى كان من إنتاجها النجاح المأمول مما دفعها لإعادة تقديمه ناطقا بعد عمل (الدوبلاج) المطلوب. أما فيلم (ليلى) فقد كان يروى قصة الشاعرة ليلى العفيفة التى اختطفها ملك الفرس كسرى أنوشروان لكنها ترفض حبه فيذيقها كل أنواع العذاب والضرب بالسياط، ولقد قُبِل الفيلم بالمؤتمر الدولى للسينما وكان متوقعا أن يحصل على جائزة لكن قبل عرضه صدر أمر رسمى بمنعه من العرض فى الداخل والخارج بناء على شكوى تقدم بها شاه إيران الذى كان يستعد للزواج من الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق والذى وجد فى الفيلم مساسا ببلاده، وهكذا لم يعرض الفيلم إلا بعد سبع سنوات حين طلقت فوزية من الشاه فأعادت بهيجة حافظ تقديم الفيلم باسم (ليلى بنت الصحراء) لكن السينما المصرية فى تطورها السريع فى ذلك الوقت كانت قد تخطته فلم يحقق النجاح الذى كان يستحقه فى بداية إنتاجه،

بالرغم من الإمكانات الهائلة التى توافرت له فى التصوير بالصحراء وفى المجاميع الكبيرة التى لم تعرفها السينما المصرية من قبل.

وحين قابلت بهيجة حافظ فى نهاية الستينيات لم أجد فى نفسها أية مرارة رغم أنها قالت لى إنها صاحبة أول فيلم تتم مصادرته لأسباب سياسية فى تاريخ السينما المصرية، وكانت عيناها تلمع ببريق أخاذ كلما تحدثنا عن السينما أو عن الموسيقى، وكانت إذا جلست البيانو تنسى كل ما حولها.

وبين ما روته لى أن زواجها الأول كان فى سن الـ ١٢ وكان من أمير إيرانى لكنها طلقت منه لأنه – على حد قولها – لم يكن يحب الموسيقى، كما قالت لى إنها هى التى اكتشفت ليلى مراد حيث قدمتها لأول مرة فى فيلم (الضحايا) بعد إضافة الصوت للفيلم فى عام ١٩٣٥م أى قبل ظهورها أمام عبد الوهاب فى فيلم (الوردة البيضاء) بسنوات.

وكانت بهيجة حافظ تتحدث ثلاث لغات بطلاقة هى الفرنسية والإنجليزية والإيطالية، كما شابت لغتها العربية لكنة خفيفة بالغت فيها فى فيلم (القاهرة ٣٠) لصلاح أبو سيف عام ١٩٦٥م حين قامت بدور الأميرة شويكار التى لم تكن تجيد العربية وكانوا يكتبون لها العربية بالأحرف اللاتينية.

أما دخول بهيجة حافظ إلى مجال السينما فكان على يد محمد كريم الذى اختارها لتقوم ببطولة فيلم (زينب) عن قصة محمد حسين هيكل باشا، لكنها اختلفت معه وقالت لى إنه كان عنيدا ولم يكن يستمع إلى نصائحها، لذلك قررت أن تُخرِج أفلامها بنفسها.

ورغم أن بهيجة حافظ تزوجت للمرة الثانية من محمود حمدى الذى كان سليل الأرستقراطية مثلها فإنها لم تنجب وماتت وحيدة وكانت كلما تحدثت عن أفلامها التى أنفقت عليها ثروتها كلها تقول إنهم أولادها فهل يبخل المرء بالإنفاق على أولاده؟!

❑❑❑